



The Multiplicity of Narrative expressions in the Holy Qur'an; its Secret and Power A Semiotic Reading in the Story of Moses With Pharaoh's magicians as a model

تعدّد الصيغ القصصية في القرآن؛ سؤها وسحرها قراءة سيميائية في قصة النبي موسى مع سحرة فرعون نموذجاً

Manal Muhammad

Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities, University of Haifa, Palestine

منال محمد عواد

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة حيفا، فلسطين

Received:22/09/2024 Revised:03/11/2024 Accepted: 05/02/2025

تاريخ التقديم: 2024/09/22 تاريخ ارسال التعديلات: 2024/11/03 تاريخ القبول: 2025/02/05

الملخص:

يُعين هذا المقال أشكال التشابه والاختلاف في القصص القرآني المكرر، وبيان المعاني المختلفة المترتبة على اختلاف الصيغ القصصية للوحدة من منظور سيميائي. الافتراض هو أن اختلاف السياقات الخارجية التي ترد فيها الصيغ يؤدي حتماً إلى تغيير في السياقات الداخلية اللغوية لها، وبالتالي تغيير في المعاني. يعالج المقال عينة من هذا القصص، ويقودنا في الأخير إلى أن "معنى المعنى" لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال بحث الأساليب والتقنيات في الصيغة الواحدة في سياق السورة أولاً ثم ربطها بسياق النص القرآني الكلي ثانياً، ثم الأخذ بالموازنة بين الصيغ المختلفة على خط سياقي واحد باعتبار ترتيب نزول السور وترتيب مقاماتها التي تتكامل لتشكل في مجموعها المقام الواحد للقرآن الكريم، منذ تتل سورة العلق في غار حراء، سيراً إلى الأمام، مع ملاحظة فاعلية كل صيغة على مستوى النص القرآني من خلال لغتها، لتبين بالدليل أعظم مزايا القرآن وهي نسيجه الحي.

الكلمات المفتاحية: تعدّد الصيغ- قصص الأنبياء- القرآن- السياق - مقارنة - دلالات ورسائل

Abstract:

This article explores the similarities and differences in the recurring narratives of prophets in the Holy Qur'an. It explains how variations in the general contexts of the Surahs and external circumstances (such as reasons for revelation) influence the internal linguistic structure of the narratives. These changes in expressions lead to shifts in meanings, making each narrative acquire a unique significance within its specific context. The study argues that understanding the "meaning of the meaning" requires analyzing linguistic styles and techniques within a single Surah's context, then linking it to the Qur'an's broader context. It also involves balancing different expressions along a contextual line, considering the chronological order of revelation and situational contexts. This approach highlights the dynamic and intricate fabric of the Qur'an as reflected in its narratives.

Keywords: Prophets' narratives, Qur'an, context, meaning, revelation

## المقدمة:

بين نوعي السياق (اللفظي وغير اللفظي) هو السياق الكامل وانتقاص أحدهما يعني انتقاص الفهم والمقصود المراد! دراسة أخرى بعنوان "التكرار في قصص القرآن ودلالاته" للباحث الصادق أبو حسن أبو، يعلّل في بحثه اختلاف الصيغ للقصّة الواحد بأنّ الصياغة إذا اختلفت في الأمر الواحد دلّت على القدرة في بلاغة الوصف، ويبيّن أنّ كلّ جزء من أجزاء القصّة المتفرقة إنّما يؤدي معنى غير الذي كان في موضع آخر، متجاهلاً قضية السياق. وفي كتاب شامل بعنوان "القصص القرآني بإحواؤه ونفحاته" للدكتور فضل حسن عباس حيث تناول كل قصّة بأجزائها المتناثرة من قصص القرآن شارحاً بإيجاز كلّ موضع على حدة مؤكداً أنّ ما ذكر في موضع كان مغايراً لما ذكر في آخر، مجملاً أنّ كلّ سورة اختصّت بجزء القصّة الذي يتلاءم مع موضوعها دون الخوض في مسألة السياق القرآني.

لا يخفى على كلّ متدبّر للتصّ القرآني أنّ التشابهات والاختلافات في الصيغ التعبيرية المتعدّدة للقصّة الواحدة منوط بالسياق، وهذا أمر قرره كثيرون قبلنا، لكنّه لم ينل حقه من البحث بمنظور سيميائي ولم يستوف القول فيه. وهنا يأتي دوري؛ أن أضيف إلى هذا الموضوع أفكاراً تجديديّة تنبعث من نظرة سيميائية، تناقش تأثير السياق والخطاب على دلالات الرّسائل الدّينية ومعانيها.

ولما كان التوجّه سيميائياً انشغل البحث بالأساليب والطرق الموصلة إلى المعاني والدلالات، التي تقف وراء الصيغ المختلفة للقصّة الواحدة في القرآن الكريم، أكثر من انشغاله بالمعاني والدلالات نفسها، لأنّ مادّة السيميائي هي اللغة. وعليه كان التوجّه في البحث من الدّاخل إلى الخارج، وذلك بإجراء بحث ميدانيّ للقصص أتبع فيه الآليات وتقنيات إجرائية، أولها في هذه الحالة المقارنة التفصيلية بين الصيغ. وآلية المقارنة تستعين بتقنيات عديدة، منها: إعادة الترتيب بتقنيات التقديم والتأخير، والاستبدال بتقنيات الحذف والإثبات، والتدرج والتصعيد، الإيجاز بأشكاله المختلفة، الإسهاب والإطناب... وهكذا. حتّى ترسم من خلال هذه الآليات والتقنيات خريطة الاختلافات الصياغية (السياقات اللّغوية الدّاخلية لكل صيغة) بين القصص القرآنية "المكررة والمعادة" في ظلّ علاقتها بالسياق والخطاب. وعلى ضوء هذه الاختلافات بين الصيغ المختلفة وأثر السياقات عليها أكشفت النقاب عمّا يقف وراء هذا التعدّد من رسائل ضخمة تبيّن حيوية التسيج القرآني الذي يتحرّك بين النّاس ويتفاعل مع أحوالهم وظروفهم. بهذه الطريقة أمكن أن نفهم كيف غير هذا القرآن في النفوس وأعاد بناء القلوب من جيل الصّحابة الأوّل، وكيف تمكّن رجل واحد معه أفراد قلائل من تمهيد الطّريق لأمة بأكملها. ولأنّ المقام هنا مختصر ولا يمكن استيفاء الحديث عن القصص على مدار القرآن، ولا حتّى كثيراً منه، فإنّي سأكتفي بعرض قصّة واحدة لنبي واحد في أربع سور متتابعة من حيث ترتيب نزولها على النبيّ محمد لتكون نموذجاً للقصص القرآنيّ بتشابهاته واختلافاته؛ هي قصّة النبيّ موسى مع فرعون في سورة القمر ثمّ في سورة الأعراف ثمّ في سورة طه ثمّ في سورة الشعراء، وتجدر الإشارة إلى أنّ الحديث سيكون

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وقصّ عليه أحسن القصص وأبان، والصلاة والسلام على خير الأنام سيّدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمةً للعباد، أما بعد: إنّ المتأمل في قصص الأنبياء في القرآن الكريم يلحظ بجلاء ورود القصّة الواحدة للنبيّ الواحد بصيغ تعبيرية متعدّدة في مواضع متفرقة طاغية الحضور على امتداد القرآن. في هذا البحث أروم مناقشة التشابه والاختلاف في تلك الصيغ من منظور سيميائي؛ إذ كيف لهذا التشابه والاختلاف بعلاقته الوثيقة بالسياق والخطاب أن يؤدي إلى اختلاف في المعاني والدلالات، أي في الرّسائل الدّينية التي تقف وراءه؟ ما قد يكشف النقاب عن المقاصد التي وقفت وراء تعدّد الصيغ التعبيرية بما تحمله من تشابهات واختلافات. الأمر الذي سيقود إلى إجابات أرجو أن تكون شافية عن تساؤلاتٍ طرحتها في الموضوع:

ما الذي استدعى ورود القصّة الواحدة بهذا الكمّ من الصيغ التعبيرية المتشابهة/المختلفة في كلّ مرة؟ وكيف لهذا الاختلاف أن يؤدي إلى اختلاف في المعنى؟ وما الحاجة الدلالية الملحة للسياق في استدعاء صيغة جديدة للقصّة نفسها؟ وما مدى علاقة السياق بإجمال القصّة أو تفصيلها في مواضع ذكرها المتعدّدة؟ وإذا كانت للسياق تلك السّلطة فهل يمكن اعتبار كلّ قصّة -بتشابهاتها واختلافاتها عن نظيراتها- قصّةً مستقلةً بذاتها، وإن كانت الأحداث فيها بالمجمل هي هي؟ ثمّ هل يُعِين رصد التغيرات في السياقات اللّغوية الدّاخلية لكلّ صيغة قصصية مكررة، التي تحققت بالآليات وتقنيات خاصة، على فهم الفروقات الدّقيقة والجوهريّة في المعاني بين الصيغ المختلفة؟ وقد يُطرح هذا السّؤال معكوساً، كيف تُعِين الفروقات في المعاني على تسوية الفروقات في الصياغات المختلفة للقصص القرآنيّ؟

وبالتّرقّ إلى الدّراسات السابقة، أجد دراسة عبد الكريم خطيب بعنوان "القصص القرآنيّ في مفهومه ومنطوقه" حيث أحاط الباحث بجوانب مختلفة للقصّة القرآنيّة شملها في تسعة أبواب، مؤكداً نظريته أنّ القصص المكررة إنّما هي مشاهد يكمل بعضها بعضاً مستشهداً بمحلاً قصّة النبيّ موسى لكن دون الولوج إلى مسألة سياق السّورة ككلّ أو اعتبارها وحدة واحدة. وفي كتاب "التعبير القرآنيّ" للدكتور فاضل السامرائي اعتبر الصيغ المختلفة للقصّة الواحدة "حشداً فنيّاً" كما سماه. لكنّه في شرحه يصبّ اهتمامه في السياق اللّغويّ الدّاخلية للقصّة أكثر منه في الخارجيّ؛ إذ يجلّل قصّة موسى -عليه السلام- مكتفياً بثلاثة مواضع مختلفة من سور ثلاث هي البقرة الأعراف والشّعراء، يركّز على التّناسب اللفظيّ؛ بهتّم بالألفاظ وعددها ومزّات تكرارها في السّورة الواحدة. وكذلك يجلّل مواضع قصّة آدم -عليه السلام- ويقارن بينها، لكنّ تركيزه في المقارنة بين المواضع محصور في سياق المقطع نفسه والألفاظ الواردة فيه، دون الاهتمام بسياق السّورة ككلّ وشبكة العلاقات المتداخلة بعضها ببعض؛ ذلك أنّ الجمع

إحداث تغيير خارجي في مظهره فهذا أمر يستدعي الوقوف! (٥)\*\*

ثم إن كلمة قَصص بفتح القاف عبارة عن مصدر أو اسم من قص الخبر إذا حدث به على أصح الوجوه وأصدقها؛ لأنه من قص الأثر واقتصه إذا تتبعه وأحاط به خبراً، كأنه قال: نقصه عن اقتصاص وإحاطة، ويجوز أن يكون بمعنى اسم المفعول، فيكون القصص بمعنى المقصوص من الأخبار والأحاديث (١) يقول الله - سبحانه -: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (سورة يوسف، الآية ١١١) والقَصص بفتح القاف "لفظ مفرد بمعنى الخبر المحكي المقصوص، ويطلق لفظ القَصص بمعنى رواية الخبر (٧)، يقول الله - سبحانه: ﴿فَجَاءَتْهُ إِخْدَاهُمَا تَمْثِيلًا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة القصص، الآية ٢٥).

أما القَصص بكسر القاف فهي "جمع القصة التي تكتب" (٨) والقصة بالكسر ليس بمصدر بل هو اسم للمقصوص (٩) وتحمل المفردتان معنى التتابع شيئاً فشيئاً بشكل متواصل ومترابط حتى بلوغ النهاية، غير أن القَصص بفتح القاف كونه مصدرًا فإنها تحمل دلالة المبالغة في دقة تتبع الأخبار المقصوفة والتأكيد على صحتها، بينما القَصص بكسر القاف فإن التركيز فيها على الجمع ولا تتعدى إلى دلالة المصدر أي عدم وجوب الصحة في أحداثها، ولذلك كان لفظها أقرب إلى القصة الأدبية التي لا تشترط الواقعية في تفاصيلها. أما في القرآن الكريم فلم ترد كلمة القَصص إلا بفتح القاف، لأن قصص الله حق، وهو يقول - سبحانه -: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (سورة القصص، الآية ٦٢) ويقول - سبحانه -: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَتِكَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (سورة الأنعام الآية ١١٥) أي صدقًا في الأخبار وعدلاً فيما حكم، وقد سميت إحدى سورته الكريمة بالقَصص.

هو إذاً قصص حقيقي مستل من بطن التاريخ يخاطب عقل القارئ؛ باعتبار هذا القَصص بياناً لسنن الله الحاكمة وقوانينه المنظمة التي سرت على الأولين والآخرين والعاقبة الثابتة في هوان من ضل الطريق وبقاء من اهتدى وسار على منهج الله، وفي الوقت نفسه يوقظ الوجدان حيث موطن العقيدة بأساليبه التي تفتح البصيرة وتلمس الحسن، وبهذا يتحقق التوازن بين قوتي النفس؛ بين ذهن يفكر وعاطفة تتأثر، فإذا توازنت القوتان شعر المتلقي بإشباع حاجته الذهنية في التثقيب عن الحق لمعرفة، وحاجته

متسلسلا بحيث يكتمل معناه وتكامل صورته تدريجياً بتتابع السور، وعليه تعتمد هذه الدراسة المنهج التوضيحي والمنهج التحليلي.

وتقتضي طبيعة البحث أن ينقسم إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث؛ يبيّن في المقدمة أهمية الموضوع والتساؤلات المطروحة ومنهجه وأهم دراساته السابقة، أما التمهيد فأوجزت القول فيه عن سيميائية القصة في القرآن الكريم وتعريف مختصر بالسيميائية التي تركز على السياق بكل أشكاله، ثم تعرّضت في المبحث الأول إلى مقام الخوف الآمن في سورة القمر، وتناولت في المبحث الثاني مقام الشكر مقابل الكفر في سورة الأعراف، ووقفت في المبحث الثالث على مقام التدبير الإلهي في سورة طه، ودرست في المبحث الرابع مقام المواجهة الصريحة وثبات الحق في سورة الشعراء. وختمت البحث بخاتمة أبنث فيها عن أبرز النتائج التي حصدتها وأتبعتها بقائمة المصادر والمراجع.

### تمهيد: سيميائية القصة في القرآن

لقد بسطت القصة نفوذها على القرآن العظيم حتى باتت تحتل قرابة عشرة أجزاء أي ما يقارب ثلثه، إذ القرآن "باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث؛ ثلث توحيد وثلث قصص، وثلث أمر ونهي" (١) وقد انصهرت القصة في بوتقة القرآن وموضوعاته انصهاراً أحاطها إلى سبيكة واحدة مصبوبة صبا. ولما كان القرآن كتاب دعوة إلى الله تعالى كانت جل هذه القصص: قصص الأنبياء ودعوة أقيامهم. وقد تناثرت على امتداد سورة بشكل مثير للاهتمام. حتى باتت القصة معلماً بارزاً من معالم القرآن الكريم تكاد لا تخلو سورة منها.

ولما نشأت الدعوة في جو معادٍ ومشحون، وكانت المهمة الأشق والأكثر وعورة أمام النبي محمد في المرحلة الأولى من نشر الدعوة الإسلامية أن يكسب القلوب وأن يمهد دربا في النفوس ليسير فيها دين جديد يخالف كل ما تأصل من عادات ويرفض كل ما استقر من تقاليد جاهلية وأعراف، كانت القصة هي السبيل إلى تكوين ألفة بين الناس والدين، وتقريبهم إليه، ووصل قلوبهم به، وجمع أفئدتهم عليه.

والقصة تعتبر من أقوى الأساليب العاطفية تأثيراً في النفس البشرية بما تحمله من قيم روحية و"لما لها من دور خطير في التوجيه الحفي المؤثر" (٢) وإن "للأسلحة النفسية قدرة أعظم من المدافع، غير أن استعمال مفتاح العوامل النفسية صعب لا يتسنى إلا بكنية من المهارة والحدق" (٣). ألم يقل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما سأله صاحبه عن ظهور الشيب في رأسه - وقد أسرع إليه الشيب في غير أوانه -: "شيبتي هود" (٤)\* وهوود سورة اكتظت فيها قصص الأنبياء، وأن يصل وقع الأثر في نفس النبي حد

\*\*ب وفق بحث علمي أجراه عالم الأعصاب في جامعة إيموري في أتلانتا البروفيسور جريجوري بيرنز تبين أن القصة تحدث تغييرات عصبية في الدماغ تستمر إلى أيام بعد الانتهاء من قراءتها، ما أثبت أن تأثير القصة ليس تأثيراً آتياً فحسب أو مجرد ردة فعل لحظية بل هو تأثير بيولوجي طويل الأمد، يحدّد سلوكنا وتوجهاتنا.

\* أخرجه الترمذي في سننه ٤٠٢٠٥.

لأنّ أيّ تأويل سيفضي بالضرورة إلى هذا المعنى<sup>(١٧)</sup>.

مثلا كلمة "عين" بمعناها الحريّ تعني عضو الإبصار في جسم الإنسان الدائريّ الشكل. يبنى على هذا المعنى معان زاخرة في المعجم لا يمكن ضبط المعنى المراد منها إلا من خلال تسييقها، فنقول: "عين الفتى تؤلمه" فحدّد السّياق معنى العين الباصرة ولا مجال لمعان أخرى، "في الجنة عين جارية" أي عين الماء وهي دائريّة فيها الماء جار، "لقيته أول عين" أي أول شيء والعين أول أعضاء الوجه، ومنها "هو عين قومه" أي كبير القوم، "صنع ذلك على عين" أي عناية واتقان ومراقبة كعين ساهرة لا تنام، "ها هو عرض عين" أي قريب مئي "هذا الخائن عين للأعداء" أي جاسوس ينقل ما تراه عينه. وهكذا لكلمة "عين" استعمالات مختلفة ذات أصل واحد ومعان لغوية مختلفة؛ عمل السّياق على إثبات معنى واحد معيّن للكلمة وبالتالي نفى ضمنيّ لأيّ معنى آخر تحتمله الكلمة في المعجم، فخلق للكلمة قيمة حضورية وهذه القيمة وقتية منجذبة لمقام الحديث ومقتضى حاله<sup>(١٨)</sup>.

وإنّ المعنى الدلاليّ الكليّ لكلمة "عين" يحدّده الاستعمال في بيئته الاجتماعية وأحواله وظروفه المحيطة، وهو ما عُبر عنه "بالقوة غير الكلامية"<sup>(١٩)</sup>، حيث يقوم التحليل على كشف العلاقة بين اللغة والأنساق الاجتماعية<sup>(٢٠)</sup>. وهذا بالضبط ما يسمّى بالسّياق غير اللغويّ.

السّياق الخارجيّ غير اللغويّ: يشمل كلّ السّياقات الخارجية غير اللغويّة التي تؤثر على المعنى من قريب أو بعيد؛ بما فيها هوية المخاطب والمخاطب وثقافتهما، الأحوال والظروف والملابسات من زمان ومكان التي تصاحب النّص وتحيط به ولها الوقوع على النّص نفسه، ولا تتمّ عملية تحليل الخطاب وتأويله بمعزل عن هذه العناصر الحاسمة لتحديد المعنى<sup>(٢١)</sup>.

وقد اعتبر المفسرون والأصوليون السّياق بشقيّه؛ الخارجيّ والدّخليّ، هو الرّقابة الصّارمة في القرآن التي لا تدع مجالاً للمعنى بأن يزيغ ولا للدلالة بأن تميل، وإن لم يُحدّد كلامهم بالمصطلحات الحديثة لنظرية السّياق<sup>(٢٢)</sup>.

فعالجوا كلّ ما له علاقة بظروف تنزيل القرآن وملابساته من زمان ومكان وأسباب نزول ومضمون، كما اعتنوا بالأحوال النفسيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة والبيئيّة التي تكتنف النّص القرآنيّ، إذ إنّ "المعاني الظاهرة لقطعة كتابية لا تعدو كونها طرف جبل المعنى الجليديّ، والجزء الأكبر من المعنى محتبى تحت سطح النّص، ويتكون من معلومات القارئ نفسه المناسبة للنّص"<sup>(٢٣)</sup>، فلا بدّ أن يكون المتلقّي متلقياً جيّداً بما يحمله من رصيد معرفيّ وملكات خاصّة تؤهّله لاستكشاف المعاني التي شهّتها الجرجانيّ باللؤلؤ في الصّدق "لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه"<sup>(٢٤)</sup>. مؤمنين أنّ السّياق هو الذي يفضي إلى معرفة غرض المتكلّم وهو الذي يدلّ على وجود حذف ويعمل على معرفة المحذوف ويعينه، وهو الذي يفسر معاني الأدوات وأحرف المعاني التي توضع كلّها تحت رقابته. مؤكّدين على أنّ كلّ حرف

العاطفيّة بتسجيل الإحساس بما في الأشياء من لذة وأمل، فإذا بمعنّاته على إثر هذا الإشباع تبدّل، ويتبدّل بالتالي سلوكه وفقاً لمعنّاته الجديدة، وهذا مرام القرآن وهذا هو البيان التام<sup>(١٠)</sup> الذي يحقّقه قصص الأنبياء.

وإنّ من أبرز ما يلفت الانتباه في قضيّة القصص القرآنيّ هو التكرار الصّارخ في قصص الأنبياء؛ حيث تجذ القصة الواحدة للنبيّ الواحد تتكرّر في سور عديدة على مدار القرآن، ويبدو للقارئ على عجل أنّها القصة عينها وإن طرأت بعض التّغييرات الطّفيفة. ممّا لاشكّ فيه أنّ تعدّد الصّيف للقصّة الواحدة لمو عمل تعمده الله - سبحانه - في النّص القرآنيّ، هذا النّص الذي عدّه العلماء على اختلاف مشاربهم في أعلى مراتب البلاغة؛ التي من مستلزمات مناسبة المقام واشتمالها على الجمال الفنيّ والإقناع العقليّ<sup>(١١)</sup>. ويراد فيه صرف تركيز المتلقّي إلى ما وراء هذا التعدّد وما يطويه من رسائل ضخمة، وليس كما شاع عنها قديماً وحديثاً أنّها ليست إلا من باب التكرار الذي من فوائده التّقرير والتّأكيد وإظهار إعجاز القرآن من خلال إبراز الكلام الواحد بأساليب مختلفة وصور متباينة.

لا يخفى أنّ السّبب المباشر لتعدّد الصّيف للقصّة الواحدة هو "السّياق"؛ الذي يراد في اللغة كلّاً من المقام والحال والنّظم، وفي العبارة المألوفة في الموروث العربيّ "الكلمة مقام مقال، ولكلّ صناعة شكل"<sup>(١٢)</sup> تعني بأن وجود الإنسان في موقف معيّن بظروف معينة يحدّد مسار كلامه؛ فتُنظّم الألفاظ المنتقاة لذلك الموقف بالذات فيما بينها نظماً يقتضيه علم النحو بقوانينه وقواعده، حتّى تنشأ عن ذلك مجموعة من العلاقات التّحويليّة، التي نستبين من خلالها المعنى الذي جاءت من أجل تصويره الألفاظ<sup>(١٣)</sup>. وهي الكلمات التي استعملها المتقدّمون قاصدين بها مفهوم "السّياق" وهو ما اعتُبر حديثاً في الغرب نظريّة كاملة مؤطرة ومفصّلة جاءت نتيجة لدراسات اللغة المعاصرة<sup>(١٤)</sup>. والسّياق شقّان؛ وفي كلّ شقّ عناصر متفاعلة بعضها ببعض، لا بدّ من الإحاطة بما للوصول إلى قصد المتكلّم ومراده من الكلام، وبهذا يكون الشقّان قوتين يتجاذبهما النّص للوصول إلى معناه؛ أمّا الأوّل فهو السّياق اللغويّ الدخليّ، والثاني هو السّياق غير اللغويّ الخارجيّ.

أما اللغويّ فهو الخطاب نفسه وهو حصيلة استعمال مجموعة من الأصوات والصّيف الصّرفيّة والقواعد التّحويليّة والكلمات والجمل المتجاورة في تركيب لغويّ، منظومة هذه العناصر بعضها إلى بعض بعلاقات متشابكة ولا تكون منفصلة أبداً، فإنّما الكلمة "جزءٌ من مجموعة ذات امتداد ما تستعبر منها قيمتها"<sup>(١٥)</sup> وأيّ تغيير يجري على عناصر الجملة كالّقديم والتّأخير والدّكر والحذف، يؤثّر بالضرورة في الدلالة فيغيّرها. والسّياق هو المحدّد لهذه العلاقات المتشابكة، وإنّ معنى المنطوق منوط بصورة حاسمة بالسّياق<sup>(١٦)</sup> فهو الذي يحدّد اختيار اللفظة وموضعها من الكلام لتتناسق مع ما قبلها وما بعدها وتكتسب معناها الخاصّ في سياقها الخاصّ الذي عين موقعها، فيتعدّد معنى الكلمة بتعدّد السّياقات التي ترد فيها، غير أنّ أيّ استدلال تأويليّ يكون مؤسساً أولاً على معرفة المعنى الحرفي للكلمة

في بدايات الدعوة في العالم الخارجي للقرآن، حيث الأفراد الأوائل المقبلين على الدعوة خفية وخوفاً من أذى المشركين، يستدعي المقام أن يستشعر هؤلاء الأفراد بقوة الله وقدرته فوق كل قدرة ليطمئنوا إليها، مما يشحن الثقة في نفوسهم بهذه الدعوة ويعززها؛ فإن الإنسان إذا وثق بقوة قاهرة سيسعى إلى تحقيق كل ما يرضي صاحب هذه القوة مهما بلغ حجم التضحيات. في هذا المقام تنزل سورة القمر بأقصى درجات الشدة، وقساوة الألفاظ، وإيقاع موسيقي غاضب من خلال مفردات صاخبة تنسجم والمقام. فقضت علينا سورة القمر بوتيرة سريعة وإيجاز شديد عن قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط واختتمت بآل فرعون.

ركزت في كل قصة على كيفية العذاب الذي أحدثته يد القدرة في كل قوم من هؤلاء الأقوام؛ لذلك لم تُذكر أسماء المرسلين إنما أسماء أقوامهم فقط، وكان كل عذاب عبارة عن مظهر من مظاهر الكون الذي تسيره يد القدرة كيفما تشاء وأينما تشاء؛ كماء السماء المنهمر وعيون الأرض المتفجرة والصيحة الواحدة من أعلى السموات والحاصب القاتل كلها من مشاهد الكون؛ وكأن الله - سبحانه - يخبر عباده بأن هذه القوى الكونية الهائلة تنقلب موازيتها في لحظة نُصرة للمؤمنين وخدمة لهم لكن متى ما شاء الله لها بحكمته وقدرته وجبروته هو أن تكون.

وعندما تُختتم السورة بخبر آل فرعون دون ذكر موسى - عليه السلام - ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٢﴾﴾ تفيض مفردتا العزة والاعتدال بإجاءات على قوة العذاب وشدته وبأس منقذه، فالعزير الذي لا يُغلب والمقتدر الذي لا يعجز أخذهم أحداً لم يُبق عليهم أي إبقاء بحيث قطع دابر فرعون وآله (٢٥). فرعون الذي تجرّ وطغى ولم تأته آية إلا وكذب بها، وهذا التكذيب يلتقي كذلك مع الافتتاحية نفسها التي حكمت عن تكذيب وإعراض قوم قريش: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيُقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿١﴾ لا حاجة لمعرفة الآيات التي كانت، الذي يستدعيه المقام هنا تكذيبهم بكل الآيات التي جاءتهم، فلم تكن سببا في إيمانهم بل العكس، وهذا يوصلنا بالآية الأولى التي بسببها تنزلت سورة القمر وهي قوله - سبحانه -: ﴿أَفْتَرَبْتِ السَّاعَةَ وَالنَّشْءَ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ إنما معجزة انشقاق القمر حين "انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ شَقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ اشْهَدُوا" (٢٦)\*.

وبالعودة إلى آل فرعون، هناك والسماع في غمرة هذه المشاهد لأمام متتابعة بتصوير حي كأنها أمامهم يلتفت الخطاب إلى أهل مكة مباشرة محذراً إياهم عذابا كتلك العذابات ونهاية كتلك النهايات وينذرهم ما هو أشد وأهول، ويوظف هنا أسلوب الالتفات ليشتد السامع بأن الحدث

وكل كلمة في القرآن لم تكن لتذكر لولا حاجة السياق لها، وما من كلمة حُذفت فيه إلا وحذفها أبلغ من ذكرها، وإذا ما احتتم اللفظ أكثر من معنى وتقاربت الألفاظ والمعاني كما لو كانت مجرد مترادفات، حكم السياق بينها وفصل.

وإذا كان انتقاء الألفاظ في القرآن بتلك الدقة المتناسبة وأن لكل منها موقفاً خاصاً لا يسد مسدّها أي لفظة أخرى على اتساع اللغة العربية وكرتها، فإن القصّة المكرورة أدرى إلى الوقوف على أسرار تعددها ومدى انسجام عاملها الداخلي اللغوي مع عاملها الخارجي غير اللغوي، مع التأكيد على أنه لا يمكن بحال اقتطاع القصّة من داخل عاملها والشروع في تحليلها وهي مسلوخة عن سياقها وإلا كان المعنى مبتوراً ومشوهاً؛ ذلك أن كل سورة لها سماتها الخاصة بما دون غيرها من السور، ولها جو خاص حيث تنسجم ألفاظ الآيات وتتغيا ظلالها على السورة كلها، فنكتسب القصّة فيها صبغة خاصة تميزها عن غيرها، وعليه فإن التحليل الآتي في كل قصّة قائم على السورة كوحدة واحدة من أولها إلى آخرها، لذلك تُنظر السورة كاملة في القرآن الكريم عند ذكر كل صيغة.

وقبل الشروع في التحليل، تجدر الإشارة أن المنظور السيميائي الذي أعنيه وأعتمده في البحث يقوم على جملة من القواعد أجمالها على النحو التالي:

- كل تغيير في صياغة النص، من باب التقديم والتأخير والحذف والإضافة والتبديل، قد يجرّ تغييراً في المعنى.
- وجوب النظر إلى هذه التغييرات اللغوية والشكلية والنحوية والصياغية بوصفها منظومة علاماتيّة تدلّ على معاني ودلالات. ما يعني أنّ الدراسة لا تبقى تحت مظلة الشكلية والبنوية واللغوية بل تتجاوزها إلى بيان العلاقات بين الشكل والبنية والصياغة وبين المعاني المترتبة عليها. دراستنا ليست شكلية لغوية بنوية بقدر ما هي دلالية تُعنى في المقام الأول بالمعاني. لكنّ البحث في المعاني لا يمكنه أن يكون معزولاً عن الشكل واللغة والبنية. وهكذا يصير الشكل - المتغير حسب السياقات - علامات سيميائية على معاني متغيرة.
- كل تغيير في القصص القرآني من موضع إلى آخر محكوم بضرورات السياق. والسياس، بكل أشكاله وأمطاطه، هو مركب مركزي في المنهج السيميائي.

## المبحث الأول: مقام الخوف الآمن

### حلقة سورة القمر

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٥﴾﴾ (سورة القمر، الآيات ٤١-٤٥)

\* أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٦:٤.

النفس التي يربتها العزيز المقتدر؛ تخافه خوفاً آمناً، فإن خافته اجتنبت معاصيه، وإن اجتنبت معاصيه أمنت غضبه، وإن أمنت غضبه فهي في مقعد صدق عند هذا العزيز المقتدر - سبحانه -. وهذه الصيغة من قصة فرعون ستلقي دلالاتها على صيغ الحلقات القادمة.

### المبحث الثاني: مقام الشكر مقابل الكفر

#### حلقة سورة الأعراف

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بَأْتِينَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرَعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جَاءت بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ الْحَشِيرِينَ ﴿ يَا تُؤُوكُ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٌ ﴿ وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالَمِينَ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّمَا لَكُمْ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿ قَالُوا بِمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿ قَالَ أَلَسُّوْا فَلَئِمَّا أَلَسُّوْا سَحْرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبَهُمْ وَجَاءَهُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿ وَأَوْخَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ فغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صُغُرِينَ ﴿ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجُودِينَ ﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنَ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَأَمْنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبِّنَا أَفِرْعُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقُّفًا مُّسْلِمِينَ ﴿ (سورة الأعراف، الآيات ١٠٣-١٢٦)

يمضي الزمن... والله - سبحانه - يربّي عباده، فتنتزل سورة الأعراف وفيها سلسلة من قصص قد امتدت مساحتها بامتداد اللغة داخلها، على عكس السلسلة السريعة الموجزة العنيفة في سورة القمر التي كان غرضها إحداث هزة وخوف، أما هنا فتأتي لتكشف ما كان يدعو به كل نبي منذ أن خلق الله الأرض. وتتقدم اللغة خطوةً فيوظف الحوالم لأول مرة بحسب ترتيب نزول السور بين الرسل من جهة وأقوامهم من الجهة الأخرى يكشف للنبي محمد ومن معه كيف يحاور الرسل أقوامهم ساعين بالحكمة والموعظة الحسنة وكيف يلامسون قلوبهم بتذكيرهم بنعم الله، ولذلك سجد أسماء المرسلين واضحة صريحة. وتحدد سورة الأعراف منذ البداية أن ما سيقص هو لكلا الطرفين؛ إنذار للمكذّبين وذكرى للمؤمنين بالاتباع، وهذه المواجهة استدعت بقوة أسلوب التضاد الذي أسهم في خلق اتساع دلالي في التباين بين فريقين من كافة النواحي، واتساع دلالي في علم الله

حاضر وموصول لكل زمان، فيقول - سبحانه -: ﴿ أَكْفَرْتُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيٰكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ ﴿ هكذا بسؤال استنكاري بلاغي - لا جملة عادية - فيه من التأنيب والتوبيخ ما يثير في الذهن عاصفة تعيد الحسابات من جديد، ويأتي مصرحاً بالإنذار بعد أن كان مملحاً ومعرضاً، وأولئك أي أمم الأولين من الذين ذكروا من قوم نوح وعاد وثمود ولوط وفرعون. ثم يلتفت مرة أخرى من المخاطب إلى الغائب تحقيراً لقولهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ ﴾ ﴿ ليرد السياق عليهم رداً قاصماً: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ﴿ ويربط آخر السورة بأولها في قوله - سبحانه -: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمْرٌ ﴾ ﴿ مع قوله في البداية: ﴿ أَفَتَرَبَّتِ السَّاعَةُ ﴾ والساعة هي موعد العذاب الغيبي المنتظر بعد عذابات الدنيا. هذا كله يؤكد أن القصة وسيلة وليست غاية. فيعد أن تخلق هذه الأنباء مجموعها جواً مخيفاً مهولاً له وقعه الترهيب في النفس، فإنها في الوقت نفسه ووسط هذا الجو الفزع تمسح يد القدرة نفسها بالطمأنينة على قلوب الجماعة المؤمنة القليلة المخاطبة التي تصيخ السمع لكل حرف وكلمة؛ أن ما جرى بالأمن لجباية الأرض على رأسهم آل فرعون، سيجري مثله على كل من سيكذب بهذه الدعوة اليوم وغداً. وهذا هو تماماً الخوف الآمن الذي يزرعه الله في نفوس عباده؛ والخوف الآمن يقابله الخوف الخطر، وهذا الأخير يكون حين يخاف الإنسان من اللحظة الغيبية القادمة والمستقبل والمجهول فهذا يكون خوفاً خطراً لأنه يرهق صاحبه فيتسبب بذبول روحه واضمحلال جسده. أما الخوف الآمن فهو آلية شعورية يعمل بها الإنسان، حيث تحضر مشاعر الخوف لتحميننا وتندرننا من خطر مرتقب، وهي بالتالي تشد أحاسيسنا وتوقظ وعينا بكل ما يحيط بنا لنتمكن من التصدي لأي أذى والاستعداد للتعامل مع أي تغيير جديد يجنبنا ذلك السوء، على سبيل المثال لو رأيت كائناً مفترساً راكضاً باتجاهي، لولا مشاعر الخوف لما كانت ردة فعل ولقضي عليّ وانتهى الأمر (٢٧).

ولله المثل الأعلى، الله - سبحانه - يغرس مخافته من خلال تجسيد قدرته الغيبية على كل من تجرّ وطغى، وترسيخ هذه القدرة الخفية في الضمير والشعور. وما يؤكد أن هذا الخوف خوف آمن هو آخر آيتين اختتمت بهما السورة حيث يقول - سبحانه - في هذا الجو العاصف والقارس والقاسي: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ﴿ المتقون هم الذين يحذرون عذاب الله ويخافونه فيفعلون ما يأمره ويتهون عما يُغضبه، يقال: "أَقْبَيْتُ الشَّيْءَ: حَذَرْتُهُ" (٢٨) هؤلاء في "جَنَّتٍ وَنَهَرٍ" لا أهر ولا أهر بل "هر" هكذا بأسلس وأرق ما يكون، ثم قوله - سبحانه -: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ ﴿ وقد سبقها أخذ آل فرعون أخذ عزيز مقتدر. يأتي هذا المشهد الآمن في أصعب وأقسى موقع، لكن هذه هي

والتكرار. فليشرح السياق في بسط قصته فهذا ما يستدعيه المقام الآن! وستكون حلقة موسى وفرعون هي الحلقة الأطول في هذه السلسلة وفي القرآن كله؛ فقد استغرقت تمام الست والستين آية، وصرحت عن تسع معجزات بينات، وكشفت جزاء الشاكرين وجزاء الكافرين بالنعم، وأظهرت المدى الذي يصله الإنسان جزاء جحوده النعمة وصاحب النعمة.

وتبدأ القصة بالسرد يقول الله - سبحانه -: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١﴾ ولم يحدّد "من بعد أولئك" بل "من بعدهم"، ليشمل الحديث إلى جانب من ذكرت قصصهم الكثير من الأقوام غيرهم التي لم يقص السياق نبأها إنما أوجز ذكرها في أوائل آيات السورة ﴿ وَكَمْ مِّن فَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ﴿٢﴾ وقال: "بآياتنا" أي بمعجزاتنا، والمعجزات نعم ربانية صارخة بمنّ الله بها على الناس ليقطع كل شكّ باليقين المرئي المحسوس فيقرب إليهم ما غاب ويسهل عليهم طريق الإيمان، ومن جمالية أسلوب القصص أن تكون الآية الأولى فيها عبارة عن موجز القصة، وفيها تشويق للمخاطبين: ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ثم ما يلبث أن يُوظف الحوار ليكشف عن نوايا فرعون وخبائبا انفعالاته مع ملئه التي تخفى على القوم، ويضعها في إطار نفسي خاص، وبالحوار والتصوير معا يبرز بالمخاطب في تجربة القصة ليعيشها، فتتمكّن من نقله الى عالمها والني ومن معه يتشربون القرآن ويعون رسائله بأقوى وسيلة وهي القصص.

ويبدأ موسى الحديث وهو في مواجهة فرعون وملئه، ولعمري هذا كشف واضح وتوجيه بين لكأن الحديث عن زعماء قريش وملتهم في الخارج! ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ: يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ يواجهه بقول الحق المؤكّد "إني رسول من رب العالمين" هكذا ببساطة يعرّف النبي الكريم عن نفسه أمام فرعون الذي بلغ خبر طغيانه في عهده المدى وظلت قصته عبرة لمن اعتبر، كما عرّف الأنبياء الكرام عن أنفسهم من قبل في السورة نفسها، يكمل النبي موسى ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جُمْتُكُمْ بَيْنِي وَمَن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿٥﴾ فيردّ فرعون ﴿ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٦﴾ قال "آية" ولم يقل "بيّنة" كما قال موسى استحقراراً لما سيحيى به؛ البيّنة والآية كلاهما تعنيان معجزة، لكن البيّنة أعلى في الوصف من الآية التي قد تكون مجرد إشارة عابرة، بينما البيّنة شديدة الوضوح.

ويسرع السياق في عرض البيّنة، فتتحول العصا إلى ثعبان واضح. واليد إلى لون أبيض ناصع يراه كل من حضر آنذاك ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

الشامل بالأمم البائدة والأمم الحاضرة منذ أول مخلوق على وجه الأرض، ليمتدّ التّضادّ على مستوى السّورة كلّها، لتبدو السّورة في حالة "مقابلة" (٢٩) تجعل من النصّ نصّاً مفتوحاً بدلالاته يستفزّ السّامع ويقلب عوالمه (٣٠) ويجعله على بينة من أمره وبصيرة. ويأتي القصص في سورة الأعراف مرتباً ترتيباً زمنياً يبيّن ماهيّة الإيمان وماهيّة الكفر منذ فجر التاريخ، منذ أول رسول في البشرية نوح ثمّ هود ثمّ صالح ثمّ لوط ثمّ شعيب وصولاً إلى موسى عليهم السّلام جميعاً.

وإنّ مقام سورة الأعراف مقام تذكير بنعم الله - سبحانه - وعلى رأسها نعمة الاستخلاف في الأرض؛ إذ تُبيّن أنّ وجود الإنسان أصلاً على الأرض وتمكينه من العيش بتسخير كل ما يحتاج بقاؤه هو أضخم النّعم، والله - سبحانه - يقول في بدايات سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿١﴾ لعلّ من لم يردعه الزّجر في سورة القمر يردعه شعور الامتنان في سورة الأعراف فإنّ النفوس التي لا يجرها التهديد قد تنفعها الذكريات الصالحة (٣١) فتستجيب وتستجيب.

تجعل سورة الأعراف من الشّكر ركناً هاماً من أركان العقيدة، يقف ضدّ الكفر، فنجده - سبحانه - أمراً النبيّ في سورة الأعراف: ﴿ وَكُن مِّنَ الشّٰكِرِينَ ﴾ ﴿٢﴾ ونجده يوبّخ غير الشاكرين قائلاً: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٣﴾ أي شكراً قليلاً نوّكد قلته وتزيدها "ما الزّائدة"، ويحكي عن قول المؤمنين في الجنّة العالية: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ﴿٤﴾ ومن غير الشّكر لا يتقدّم البناء في العقيدة، لأنّ في الشّكر امتنان للخالق على أفضاله التي لا تعدّ ولا تحصى، وسيتحول هذا الشّكر لاحقاً إلى حبّ، ولأنّ شعور الامتنان أسر فإنّه يحفّز صاحبه على العمل، وهنا تكمن قوّة الشّكر وما يحمله من طاقة هائلة ذات أثر فعليّ في المستقبل (٣٢).

فها هو النبيّ هود يذكّر قومه ويحثّهم على الشّكر: ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ لِحُلَفَاءٍ مِّن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١﴾، وعلى خطاه النبيّ صالح يذكّر قومه: ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ لِحُلَفَاءٍ مِّن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُسُونَ الْجِبَالَ بَيْوتًا فَأَذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٢﴾ وشعيب الذي عُرف قومه بسوء الخلق يذكّرهم بنعمة الله ويحدّثهم عاقبة أمرهم: ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٣﴾... وصولاً إلى النبيّ موسى، النبيّ الأقرب في رسالته إلى النبيّ محمّد. وفي سياق القرآن حتى الآن ذكر موسى - عليه السّلام - مفصّلاً عن فرعون، وكان فرعون أوّل من دُكر في القرآن مثلاً على الطاغية المنكر الجاحد لنعم الله. وإنّ حديث الأعراف حديث عن الشّكر

يبلغ من سحرنا كل هذا، ولكنه أمر من الله عز وجل<sup>(٣٣)</sup>\* حتى ﴿قَالُوا: "إِنَّمَا يَرَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٤﴾ رَبُّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٣٥﴾ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةُ هُمْ أَنفُسُهُم الَّذِينَ كَانُوا يَرْجُونَ الْمَالَ وَالْجَاهَ وَالتَّسْلُطَانَ قَبْلَ قَلِيلٍ. أَمَامَ هَذَا الْمَشْهَدِ، يَسْتَشِيطُ فِرْعَوْنَ غَضْبًا وَيَفُورُ انْتِقَامًا وَهُوَ السَّيِّدُ الطَّغَايَةِ الَّذِي لَا تَصْرِفُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ فَتَأْتِي الْأَلْفَاظُ الْمَشْدَدَةُ مَعَ لَامِ الْقِسْمِ وَإِنَّ الْمُؤَكَّدَةَ وَالتَّوْنِ الثَّقِيلَةَ لِتَصْوِيرِ هَذَا الْغَضَبِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ: ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ؟ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْمِنَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٧﴾ أَمِنْتُمْ بِهِ تَعْنِي صَدَقْتُمُوهُ بِمَجْدِ السَّرْعَةِ لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ مَوَاطِءَ جَرَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ لِنَسْتَوْلُوا عَلَى مَدِينَتِنَا، وَهَذَا الْإِتِّهَامُ مِنْ فِرْعَوْنَ تَلْبِيسٌ عَلَى قَوْمِهِ لِغَلَا يُؤْمِنُوا كَمَا آمَنَ السَّحَرَةُ. فَيَأْتِي جَوَابُ السَّحَرَةِ الْجَرِيءِ: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَأَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا ﴿٣٩﴾ قَوْلُهُمْ بِآيَاتِ رَبِّنَا يَلْتَقِي مَعَ الْآيَاتِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى لِلْقِصَّةِ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴿٤٠﴾ هَذَا يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّحَرَةُ قَدْ أَدْرَكُوا فِي لِحْظَةٍ حَقِيقَةَ صَاحِبِ الْفَضْلِ الْحَقِيقِيِّ فَخَرُوا لَهُ سَاجِدِينَ، هَذَا الْإِدْرَاكُ جَعَلَ الْإِيمَانَ يَشْرُقُ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَسْتَقِرُّ فِيهَا عَمِيقًا كَالسَّهْمِ، وَيَكْشِفُ رَدْمَهُمْ بِأَسْلُوبِ الْقَصْرِ بِالنَّفْسِ وَالِاسْتِثْنَاءِ أَنَّ تَحْدِيدَ فِرْعَوْنَ سَبَبِهِ إِيْمَانِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ بِالْإِتْيَانِ بِمَثَلِهَا.

وهم الآن بحاجة إلى صبر استثنائي فيطلبون من صاحب الفضل وهم في شدة ضعفهم: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ يَطْلُبُونَ صَبْرًا كَثِيرًا وَاسْعًا فَائِضًا يُفْرِغُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ فَيَصَبُّ فِي قُلُوبِهِمْ صَبْرًا وَفِي دَعَائِهِمْ هَذَا رِسَالَةٌ إِلَى النَّبِيِّ وَمَنْ مَعَهُ وَتَوْجِيهٌ لَهُمْ بِالْدَعَاءِ، وَإِنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ "أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا" يَدُلُّ عَلَى هَوْلٍ مَا يَمْزُونَ بِهِ مَنْ بَطَشَ فِرْعَوْنَ وَمَلَكُهُ الْمُنْكَرِينَ لِلَّهِ وَنَعْمَهُ. لَكِنَّ الْإِيمَانَ مِنْحَهُمْ قُوَّةً عَجِيبَةً، حَتَّى صَارَ عَذَابُ "الصَّلْبِ" وَهَلَعَهُ أَمْرًا صَغِيرًا هَيِّنًا أَمَامَ عَظَمَةِ اللَّهِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ وَقَعَهُ عَلَى نَفْسِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْخَارِجِ.

ويتأمر المأدب وفرعون على النبي والقلة التي معه، وسلاحهم الوحيد البطش والتعذيب وليس حجة أو دليل: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ: أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرُكَ ءَوَاهُك؟! قَالَ: سَقْتَلُا أَبْنَاءَهُمْ وَنَسَحَتِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ فَاهِرُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ: أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ

تُعْبَانُ مُبِينٌ ﴿٤٤﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَادَّا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِ ﴿٤٥﴾ وَتَسْجَمُ مَفْرَدَاتُ مَبِينٍ وَالتَّظَايِرِ مَعَ الْبَيْتَةِ، فَهِيَ هِيَ التَّعْبَانُ جَلِيٌّ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ لِلْعِيَانِ وَالتَّيْدِ الْبِيضَاءُ يَرَاهَا التَّظَايِرُونَ رَأَى الْعَيْنَ، أَي أَنَّ الْحَقَّ أُبْلِجُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، لَكِنْ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَنْهُ عَمُونَ عَلَى مَرِّ الْعَصُورِ.

ويندفع المأدب المجتمعون في القصر يتحدثون بين بعضهم البعض ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٤٦﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ ﴿٤٧﴾ يَرِدُ الْبَعْضُ الْآخَرُ: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٤٨﴾ يَا تُؤُوكِ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٤٩﴾ اعْتَبَرُوهُ مَجْرَدَ سِحْرِ أَتَقَنَهُ سَاحِرٌ عَلِيمٌ سَيَسْتَخْطُونَهُ بِقُدُومِ أَفْضَلِ السَّحَرَةِ مِنْ كُلِّ الْمَدَائِنِ، تَقْفِرُ الْأَحْدَاثُ فَوْقَ الزَّمَنِ لِيَحْضُرَ السَّحَرَةُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَعْدَ أَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فِرْعَوْنَ، فَهِيَ هِيَ مِنْ جِهَةِ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنْ الْجِهَةِ الْآخَرَى فِي مَبَارَاةٍ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّكْفُرِ، يَقُولُ السَّحَرَةُ الْمُخْتَرِفُونَ بِكُلِّ اطمئنان: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَٰلِينَ ﴿٥٠﴾ بِاسْتِعْمَالِ حَرْفِ التَّوَكِيدِ "إِنَّ" يَسْتَوْتِقُ السَّحَرَةُ أَوْلَا مِنْ جَزَالَةِ أَجْرِهِمُ الَّذِي حَضَرُوا مِنْ أَجْلِهِ مَا يَعْنِي أَنَّهُمْ يُوَكِّدُونَ عَلَى غَلْبَتِهِمْ فَهَلْ لَهُمُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ حِينَهَا؟ يَرِدُ فِرْعَوْنَ: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُتَّقِرِينَ ﴿٥١﴾ أَكِيدُ لَا مَجَالَ لِلشُّكِّ.

فيبادر السحرة بخيرون موسى بمن يبتدئ أولا فهم الواثقون الأقوياء المدعوون من جبهة القوم الغالبون لا محالة: ﴿قَالُوا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿٥٢﴾ فَيَقْدَمُهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ فِي الْإِلْقَاءِ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ فَيَجِيبُ: ﴿الْقُوَّةُ، فَلَمَّا الْقُوَّةُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَهُ بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٥٣﴾ وَمَفْرَدَةٌ "اسْتَرْهَبُوهُمْ" وَوَصَفَ "سِحْرٌ عَظِيمٌ" كَفَيْلَانَ بِتَصْوِيرِ ضَخَامَةِ مَا جَاءَ بِهِ السَّحَرَةُ بِلِ التَّسْتَرِّ ذَهُولًا أَمَامَ ضَخَامَتِهِ، هُنَا تَدَخَّلَ يَدُ الْقُدْرَةِ تَأْيِيدًا وَنُصْرَةً وَتَعْظِيمًا يَظْهَرُ فِي "التَّانِ" ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴿٥٤﴾ "أَوْحَيْنَا" هَذَا الْفِعْلُ مَنْسُوبٌ لِلَّهِ تَعْظِيمًا لِهَذَا التَّأْيِيدِ وَتَخْوِيفًا مَوْصُولًا بِمَقَامِ التَّخْوِيفِ فِي سُورَةِ الْقَمَرِ الَّتِي فَاضَتْ بِأَفْعَالِ يَدِ الْقُدْرَةِ (فَتَحْنًا، فَجَرْنَا، أَرْسَلْنَا، أَخَذْنَا...)، فَيَلْقِي مُوسَى عَصَاهُ وَبَلَمَحَ الْبَصَرِ ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٥٥﴾ تَحْتَطِفُ وَتَبْتَلَعُ كُلَّ مَا أَلْقَاهُ السَّحَرَةُ لِيَصُورُوا فِيهِ إِفْكَهُمُ أَمَامَ النَّاسِ. فَإِذَا بِالسَّحَرَةِ مَذْهُولِينَ أَمَامَ مَا يَرُونَ ﴿وَالْقَبِيَّ السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَالفعل ألقى مبني للمجهول؛ فكأنما الحق الذي استقر في قلوبهم ألقاهم ساجدين، وهم أعلم الناس بالسحر فكانوا أعلم الناس بأن ما جاء به موسى لم يكن سحرًا، وفي الحديث الشريف: "فلما عرفت السحرة ذلك قالوا، لو كان هذا سحرًا لم

\*أ أخرجه التيساني في السنن الكبرى ١٠: ١٧٢.

شكر اتقى مصرع الكافرين فعمل ما بوسع له لئلا يكون مثلهم.

### المبحث الثالث: مقام التدبير الإلهي

#### حلقة سورة طه

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْتَ ثُلُقِي وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلِ الْأَلْقَاؤُا فِإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ بَلَغَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفُفًا مَّا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَىٰ السِّحْرَةَ سُجُودًا قَالُوا ءَأَمِنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ لَكُمْ وَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي ءَأَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هُدْيَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَأَمِنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ (سورة طه، الآيات: ٦٥-٧٣)

لقد ركزت سورة الأعراف على المظهر القوي شديد البأس والبطش الذي يبدو فيه الجاحد المتكبر، مؤكدة بدليل الأمم السابقة أنه إلى زوال، وهذه سنة ماضية منذ فجر الخليقة، وكان الحديث في الأعراف عامًا وشاملاً وواسعاً.

أما في سورة طه فالحديث خاص جدًا ودافئ جدًا يفيض بالمشاعر والأحاسيس، والجوّ جوّ قرب وستر ودفء واحتواء ودعم نفسي وتأييد معنوي وحسي، لهذا ركزت سورة طه على قصّة النبي موسى وحده دون سائر الرسل وهو أقرب ما يكون من ربه - سبحانه -. وكانت القصة بمثابة نموذج مرسوم الخطى للتدبير الإلهي الذي يدلّ المتلقي على خطوات الطريق ويحفّزه على القيام بسلوك محدد معروفة نتائجه. ويبرز الحوار مساهما في تشكيل مشهدية السرد معززا أجواء النصّ بديناميكية حركية تشعر المتلقي بالمشاركة وشدّ الذهن والاندماج مع تفاصيل الحوار وجزئياته.

تفتتح السورة بخطاب مباشر للنبي محمد: ﴿طه ﴿٦٥﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ﴿٦٦﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ ينفي أن يكون القرآن سبباً في شقائه وهمّه وهو الذي يواجهه قومه بالقرآن مثقلاً مهموماً وحده؛ فيخبره الله بأنه اجتنابه واصطفاه وتكفل بحراسته وتدبير خطاه، وإنما هذا القرآن قد أنزل ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوٰتِ الْعُلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ الكرميّ على العرش استوى ﴿وَأَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ - سبحانه - اسم "الرحمن" من بين كلّ أسمائه الحسنی فهذا يدلّ على ما في المقام من مودة وعطف وحنان مصدرها ممن استوى على العرش ممسكاً زمام الكون صاحب السموات والأرض وما بينهما ﴿الَّذِي "أه" مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا

تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ والتضاد في قول قوم موسى: "من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا" يصوّر هول الأذى الذي كان يتعرّض له قوم موسى من قِبَلِ فرعون وآله. ويؤكد الله هنا حقيقة أخرى على لسان موسى لقومه تتناسق مع جوّ السورة بأنّ الأرض أرض الله؛ هي ملكه ولن يكون في ملك الله إلا ما شاء الله له أن يكون، فيورثها من يشاء من عباده ويبيد عنها من يشاء، والغزير في النهاية لمن خاف فذكر فشكر نعم الله فاتقاه. ورغم مرارة الأذى ووحشية التعذيب إلا أن نبيهم لا يفتأ يذكرهم بالله ويزاد الطريق ألا وهو "الصبر" على أذى المتجربين حتى يأتي نصر الله المبين.

ويزداد فرعون تعجرفاً واستبداداً أمام إيمان موسى والقلة التي معه وكأّن هذا العالم الداخلي لسورة الأعراف مرآة تعكس لنا التعسّف والتعذيب في العالم الخارجي أي النبي محمد ومن معه أمام قومه. وهنا تعود يد القدرة للتدخل وتتوالى العقوبات الحارقة غير المألوفة على فرعون وملئه تقريباً لهم؛ فأولا يصيبهم القحط وأرضهم أرض الخصوبة والثراء ثم الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع وأخيرا يتحوّل نحر النيل الأزرق الصافي إلى نحر من الدّم الأحمر القاني، وفي كلّ مرّة تأتيهم الآية واضحة فيطلبون من موسى أن يدعو "ربه" ليكشف عنهم العذاب ويعدده فرعون بأن إذا كشفه سيرسل معه بني إسرائيل. فيكشفه الله في كلّ مرّة وينكث فرعون وعده في كلّ مرّة، بل يتهم أن ذاك العذاب بعظمته وجبروته لم يكن إلا "سحرا" .. ويبلغ استكبارهم المدى فيتحقّق نذير الله في إهلاك أهل القرى المكذّبين بآيات الله رغم بسطها على مهل وسطوعها بشدّة، إلى أن أهلكهم الله بالدمار والإغراق مقابل نجاة المؤمنين المستضعفين واستخلافهم في الأرض جزاء صبرهم الذي ولده شعور الامتنان، يقول - سبحانه -: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقُرْءَانَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضَعِفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَنَمَّتْ كَلِمَتَ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرٰوِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٦٩﴾﴾؛ أثرٌ بليغ تركه القصة في قلوب المخاطبين القلة المستضعفين مع النبي محمّد، إنّها بُشّري لهم مطويةً في ثنايا المفردات طياً.

لقد جاء القصص في سورة الأعراف ليسطر لنا قانون الله في هذه الأرض بالدليل القاطع والحجّة البيّنة من خلال هذه الأنبياء عن ملوك وجبابرة الأرض على مرّ التاريخ منذ أوّل قوم جحدوا وهم قوم نوح؛ بأنّ الجاحد المتكبر مهما تجرّ وطغى يقصمه الله لا محالة، والمؤمن المستضعف الشاكر الصابر ينجيّه الله لا محالة، وإذا كان هذا هو حال الدنيا فإنّ المتلقّي للقرآن يدرك أنّه متّصل بتاريخ المؤمنين عبر الزمن ومتّصل بتاريخ الكافرين كذلك، ما يجعله مستعداً لمثل هذا الصراع بين الحقّ والباطل المستمرّ إلى يوم الدين، فيصبر كما صبر الذين من قبله ويفكر في قوّة الله لا في قوّة الظّروف، ويرتقب فرج الله القادم قطعاً مهما امتدّ الألم وطال الأمل واحتمت المعاناة لأنّ هذا وعد الله وقد تحقّق في الأوّلين، وإنّ أسلوب التذكير بالنعم يستوجب الشكر عليها، فمن تذكّر شكر ومن

عليها موسى تتطلب الذكر الكثير والتسبيح الكثير والاتصال الكثير؛ حتى قيل في الذكر: "إن الذكر يعطي الذّكر قوّة حتى إنّه ليفعل مع الذّكر ما لم يظنّ فعله بدون"<sup>(٣٥)</sup> ثم إنّ قوله "إنّك كنت بنا بصيرا" دلالة على الضّعف والقصور والحاجة إلى العون والتّدير من الله البصير بحالهم، لقد أطلّ موسى سؤاله وبسط حاجته وكشف عن ضعفه وهو في حضرة الله - سبحانه - حتى أجابه الله مؤكّدا بحرف التحقيق دغمه وتأييده بما يعينه على تحقيق هدفه: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ ﴿١﴾ فيجعل الله هارون نبيا مرسلا من عنده ليكون سندا وعلونا لأخيه موسى. والتّبيّ محمد يسمع القصة ويتشرب كلّ تفصيلا فيها تُريه كيف يُنجز الله وعده، ويسر أمره ويدبّره، والأهم يدعمه بالإرادة الإلهية التي ستوصله الى النتيجة المحتومة. فيلصّب وليشتدّ.

وهنا يبدأ السياق بذكر المخطّات الفاصلة في حياة التّبيّ موسى -عليه السلام- بإيجاز مظهرًا تدير الله الدّقيق لأمره، وذلك منذ أن كان رضيعا في المهدي ومنذ أن أوحى إلى أمّه بأن تقدفه في اليّم مرورًا بأخذه من قبل فرعون وتربيته في القصر... وصولا إلى اللّحظة التي يأمر الله فيها موسى بأن يذهب هو وأخوه إلى فرعون ﴿أَذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِأَتْنِي وَلَا تَنِيَا فِي دِكْرِي﴾ ﴿٢﴾ ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٣﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿٤﴾ فرعون؟! فرعون تعني جبار مصر تعني الطّاغية المتكبر وأعتى الأعتياء في زمانه جيروته، فرعون الذي قال فيه التّبيّ ﷺ: "لما أغرق الله فرعونَ قال: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فقال جبريل: يا محمّدُ فلو رأيته، وأنا أخذُ من حلال البحر فادسُهُ في فيه مخافة أن تُدركهُ الرّحمة"،<sup>\*</sup> هنا يعبر التّبيان الكريم عن خوفهما دون تردّد: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿٥﴾ وكلمنا "يفرط" و"يطغى" تصوّران حجم ما كان يعتريهما من خوف لما يتوقّعه من ردّ فرعون الطّاغية لهما، فالفرط هو تجاوز الحدّ في الغضب، والطغيان الإسراف في التجبّر. فيردّ رحمن السموات والأرض ردّا ناهيا بـ "لا" ومؤكّدا بـ "إنّ" التي اتّصلت بما "ياء العظمة" يُطمئن به نبض قلبيهما الخائف ويُسكّنه: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٦﴾ أسمع ما يكون وأرى ما يحصل؛ وفي هذا أعظم تعزيز وقوة استقرار ومنتهى ما تحمله من تحديات وزرع الثقة بالنفس والإقدام، إنّه تعزيز قادم من رب مطلق العظمة الذي لا تواجهه ولا تحدّه قدرة<sup>(٣٦)</sup>.

وقد يتساءل المتلقّي: ما معنى أن يقول نبيان كريمات تحفهما رحمة الله وعنايته: "إننا نخاف؟" هل الخوف مشروع؟ نعم، إنّه كما يبدو مشروع أمام المظهر القويّ للباطل الذي حدّثنا عنه سورة الأعراف، لكنّ الله - سبحانه - يريّ عباده لينقلب هذا الخوف إلى قوّة، كيف؟ الجواب في

بَيَّنَّهُمَا وَمَا تَحْتَتَا التّرى ﴿١﴾ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٢﴾ تتضافر المفردات (تحت التّرى، السرّ، أخفى) لتضفي جوّ القرب، وهذه دلالة على عمأق اهتمام الله بالتّبيّ الكريم محمّد ﷺ فهو - سبحانه - يعلم ما يخفيه وما يشعر به من حزن وهمّ وألم، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد لأنّه متصل بمصدر القوّة؛ فهذا موسى الرّضيع لم يفرق وهو في قمة ضعفه وغرق فرعون وهو في قمة جيروته ثم يقول - سبحانه - معلقا قلب التّبيّ به ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٣﴾ مفردة "إله" من الفعل "ألّه"، تقول العرب: "إله الفصيل"، والفصيل ابن النّاقة عندما يُفصل أي يُفطم عن الرّضاعة يُجسّس في خيمة وتترك أمّه في المرعى، حتى إذا طال به الحال وأخذ الشّوق والحنين إلى أمّه نوح وأرغى كما لو كان يبكي، فيقولون: "إله الفصيل"، وأمّه في هذه الحال هي إلهه بالمعنى اللغويّ، فيكون معنى عبارة "لا إله إلا هو" لا محبوب ولا مرغوب إلا الله فهذا تعبير عمّا يجده المؤمن في قلبه من تعلق برّبّه، فهو أشبه ما يكون بذلك الفصيل الصّغير الذي نوح شوقا إلى أمّه إذ أحسن بألم البعد ووحشة الفراق<sup>(٣٤)</sup>.

في هذا الجوّ الرّبانيّ الجليل الداعم المطمئنّ المؤنس يستدعي المقام غنوة قصّة التّبيّ موسى الذي اجتناب الله حمل رسالة التّوراة فصنعه على عينه ورسم خريطة حياته ودبّر أمر سيره وفقها وتجلّت فيه رعاية الله وهو القائل - سبحانه - في سورة طه في سياق قصّته: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبْنَةً مِّنِّي وَوَلِّصْنَعَ عَلَيَّ عَيْبِي﴾ ﴿١﴾ والقائل: ﴿وَأَصْطَفَيْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٢﴾. وما أشدّ نقاط التماس بين قصّة التّبيّ موسى والتّبيّ محمّد. بل يكاد القارئ للقرآن بوصوله الى سورة طه يستشعر أنّ القصّة "تعريض صريح" بالتّبيّ محمّد - ﷺ - الذي اجتناب الله لدعوته وكفل حراسته؛ وأنّ الله معه في كلّ خطوة "يسمع ويرى".

في سورة الأعراف بدأت القصّة من لحظة لقاء موسى بفرعون، هنا في سورة طه يتكرّر المشهد نفسه، لكن يسبقه موقف عظيم فيه إعداد وتهيئة وهو لقاء موسى بالله - سبحانه - وتتجلى التفاصيل الخاصّة المثيرة التي حُجبت في المقام العامّ لسورة الأعراف؛ فعندما يأمر الله - سبحانه - موسى بالدّهاب إلى فرعون - بعد أن أراه الله قدرته وهو في حضرته على تحويل العصا إلى ثعبان واليد إلى بيضاء - يسأل موسى ربّه دعما نفسيا وحسّيا، يقول: ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ﴿١﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ﴿٢﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ ﴿٣﴾ يُفَقِّهُوا قَوْلِي﴾ ﴿٤﴾ دعم نفسيّ بحذف الباء من "رب" للدلالة على أقصى درجات القرب، ثم يكمل: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ ﴿٥﴾ هُرُونَ أَخِي﴾ ﴿٦﴾ أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ﴿٧﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ﴿٨﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿٩﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ يطلب أن يكون معه أخوه هارون يعينه على ذكر الله وتسبيحه؛ ذلك أنّ المهمّة الجلييلة المقبل

\*أ أخرجه الترمذّي في سننه ٢٨٧:٥.

يظهر مشيئة الأمر وتدييره؛ ولذلك استبدل الفعل "وأوحينا" الذي أظهر في مقام سورة الأعراف قوةً وتحويلاً موصولاً بمقام سورة القمر، يستبدل هنا بفعل الأمر "وألق!" ويسارع المقام في إظهار مشيئة الله في ملكه وقوة إرادته وأنه فعّال لما يريد فيحذف اللقطة المذكورة صراحة في سورة الأعراف "إذا هي تلقف ما يأفكون" وروى في الحديث الشريف عن وصف المشهد "فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيمةً فاغزرت فاهها، فحعلت العيصي تلتبس بالحبال حتى صارت جزراً إلى الثعبان، تدخل فيه، حتى ما أبتت عصاً ولا حبلاً إلا ابتلعته"، ليصور لنا مسرعا مشهد الهزيمة الفعلية لفرعون أمام انتصار إرادة الله، هذه الهزيمة التي جسدها سجود السحرة ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ سجدا وليس ساجدين؛ ولنعلم أولا أن السحرة كانوا قسمين؛ الأول كبار السحرة وعلماؤهم والثاني عامة السحرة، وبما أن مقام الأعراف كان مقام قلة "قليلا ما تشكرون" فقد سلط المقام ضوءه على القلة وهم كبار السحرة وعلماؤهم الذين أدركوا في لحظة الحقيقة صاحب الفضل الحقيقي فناسب هناك جمع السالم الدال على القلة "ساجدين"، أما هنا في طه فالمقام مقام تدبير وإرادة إلهية؛ ما يعني أن الجميع دون استثناء -الكافر منهم والشاكر- خاضع لإرادة الله - سبحانه- فناسب أن يكون جمع التوكسير الدال على الكثرة؛ عامة السحرة، ثم إن تقديمهم لهرن على موسى في قولهم "رب هارون وموسى" مقابل قولهم في سورة الأعراف "رب موسى وهرون" ليؤكدوا لفرعون الذي أصر أن يقلب القضية إلى قضية شخصية بعيدا عن الحقيقة بأن لا علاقة لهم بشخص موسى إنما إيمانهم كان برّب موسى.

وما يعضد هذا القول هو اتهام فرعون لهم: ﴿قَالَ ءَأَمَّنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿١٠٠﴾ "انتم له" وليس "انتم به" كما في الأعراف، وإن تعدّي الفعل آمنتم بالباء يحمل معنى التصديق، مجرد التصديق. أما تعدّيه باللام فيحمل معنى بعد التصديق وهو الانقياد والإذعان! (٣٨) ويتصاعد اتهام فرعون "إنه لكبيركم الذي علمكم السحر" وليس كما في الأعراف "إن هذا لمكر مكرتموه" وهذه المبالغة في اتهام موسى بالسحر دلالة على عظمة ما جاء به موسى وهو الذي معه ربه يسمع ويرى.

ويستكر فرعون ويفرط عليهم بقوله المشدد بلام التوكيد ونونه الثقيلة التي توحى بحجم غضبه ومقاومته وإن تعدد السحرة في تأخير موسى في إجابتهم يُعَيِّظُ فرعون حتى يبلغ تهديده ابتكار أكثر أساليب التعذيب وحشية، ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَنَّهُمْ فِي جُدُوعِ

عبارة: "إني معكما" أي التركيز على معية الله؛ فإن الإنسان المؤمن إذا استشعر في كل نفس لحظة بأن الله معه يؤنسه ويثبت به ويقويه فإنه بالتالي يستشعر الرضا والاطمئنان والشجاعة؛ وهذه هي قوة القوة!

إن العالم الداخلي في سورة طه يركز على مشاعر الخوف، لماذا؟ لأن في العالم الخارجي حاجة ملحة لمعالجة هذه المشاعر، فيعالجها الله - سبحانه- عن طريق القصة التي سبق ورسم لها خلفية في سور سابقة لتلقي بظلالها على الرسالة المرادة هنا فتلامس القلب وتصل إلى العقل بأدق ما يريد لها مرسلها أن تكون.

فلتذهبها إلى فرعون واثقين بالقوة العظمى معكما ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ ليس رسولاً واحداً بل رسولان ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعِ أَتُذَكِّرُ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ ﴿١٠١﴾ هذه الكلمات يخط الله لهما خريطة طريقهما. وهنا يطوي السياق أحداثا وتفصيل ليصل بنا إلى وقوف موسى وهارون أمام فرعون، ويدور الحوار بينهما، سنتجاوز الحديث عن أوله ونركز على مشهد لقاء السحرة بموسى في المباراة التي ضرب لها فرعون موعدا مع موسى وأخيه أخبرتنا عنه السورة نفسها وذلك حين قال فرعون: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْتَةِ وَأَنْ مُّجَسَّرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ ﴿١٠٢﴾ فلما التقيا (فرعون والسحرة مقابل موسى وهارون) بادر السحرة كما في الأعراف: ﴿قَالُوا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْتَ ثُلُقِي وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ لكن هنا إجابة موسى تأتي مسبوقه بحرف لم يُذكر في الأعراف يُكسب إجابته ثقة بأن يبدووا هم أولا حيث قال: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ وكأنه يقول طبعاً أنتم من سيلقي أولا، وهذه الإجابة توحى بتدبير الله لأمره بأن يلقوا هم أولا حتى يُبرزوا ما معهم ويستنفدوا أقصى ما بوسعهم، ثم بعد ذلك يُظهر الله سلطانه عليهم فيكون أقوى تأثيراً. ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ جُمُوعٌ مِّن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ ﴿١٠٣﴾ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴿الهاء في "إليه" عائدة إلى موسى عينه وليس كما في الأعراف حين كان الحديث عامّاً فقال - سبحانه- واصفا ما أصاب الحاضرين: "استرهبهم"، أما هنا فالتركيز على موسى وحده وما يختلج في نفسه من مشاعر، وإن مفردة "أوجس" تصور عمق ما كان يعصف في قلبه آنذاك، فبرّد الله - سبحانه- خوفه بعظمة "التا" في الفعل "فلنا": ﴿فَلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّا أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿١٠٤﴾ أنت متصل بالقوة العظمى وهم يخدمون مخلوقا بشريا فانيا مهما كان متكبرا وطاغيا (٣٧).

ثم يأمر الله موسى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفُفًا مَّا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سُجُرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ ﴿١٠٥﴾ وإن الفعل "ألق" فعل أمر

\* أخرجه التيساني في السنن الكبرى ١٠: ١٧٢.

من أي توتر وانفعالات سلبية قد تتأبه من موقف وحالة الشخصية الدرامية مما قد يسبب له حالة صدمة وخوف<sup>(٣٩)</sup>: ﴿فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُهُمْ ﴿٣٩﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ، وَمَا هَدَىٰ ﴿٤٠﴾ ويحذف وصف الهلاك ليمثل خيال المتلقي ما شاء من العذاب الذي لحق بهم فيتنفس ويرتاح بأن الله يحرس عباده المؤمنين على عينه وسمعه لا تخفى عليه مخاوفهم ومشاعرهم يطمئن نبض قلوبهم الخائفة ويخبرها ألا تخف لأن الله معها يسمع ويرى، سينجيهم ويوصلهم إلى بر الأمان، هذه سنته في أرضه وهذا وعده.

### المبحث الرابع: مقام المواجهة الصريحة، ثبات الحق وزعزعة الباطل حلقة سورة الشعراء

﴿... فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٦﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنُّظُرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي هَذَا لَشَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ خَشِيرِينَ ﴿٤٠﴾ يَا ثُؤُوكُ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٢﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٤٣﴾ لَعَلَّكُمْ تَتَّبِعُونَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُفْرِّقِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِمُونَ ﴿٤٨﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَأْفُكُونَ ﴿٤٩﴾ فَأَلْقَىٰ السَّحَرَةُ سِحْرَاجِدِينَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٥٢﴾ قَالَ ءَأَمْسُكُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَأَدَّ لَكُمْ إِلَهُهُ، لِكَيْبَرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٦﴾...﴾ (سورة الشعراء، الآيات ٣٢-٥٢)

تفتتح الأمور بين طرفي المعركة في الخارج وتفتتح معها اللغة في الداخل لكي تولد تشكيلا لفظيا ومعنويا وتنشئ حالة تلاحم بين حال النص الخارجي وفعله الداتي، وإن المقام في سورة الشعراء مقام مواجهة صريحة تعبر عن ثبات الحق أمام اضطراب الباطل، فترجع اللغة بتصوير هذا الثبات وذلك الاضطراب من خلال القصة نفسها. تبدأ القصة من لحظة لقاء موسى بالله - سبحانه - لكن من زاوية مشحونة ليست كذلك الزاوية التي عشنا معها قرب الله في سورة طه، وإن بدايتها تجعل الأحداث تبدو متداخلة بين العالم الخارجي والداخلي يقول الله - سبحانه - ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وهنا محذوف تقديره "واذكر وقتا نادى فيه ربك موسى وبعثه بالرسالة"<sup>(٤٠)</sup> ولم يذكره لأن الذكر سيفقد دلالة التهديد والوعيد في الآية فضلا عن أن

النخلِ وَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٣٦﴾ فَإِنَّ التَّعْبِيرَ فِي قَوْلِهِ "فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ" تعبير بصور عذابا وحشيا مخيفا؛ إذ إن الصلْب يكون "على" جذوع النخل لكن استبدال حرف "على" بحرف "في" يعني أنه سيصلبهم حتى تغور أجسادهم في جذوع النخل غورا وليس مجرد أن يدق أجسادهم دقا، وهذا الوصف لم يذكر في الأعراف.

وهذا التصاعد في اللغة دلالة على تصاعد الأحداث في الخارج! ذلك أن تهديد الحق للباطل بات جليا واضحا، ولأن منسوب الإيمان يعلو في الخارج تعلقو معه اللغة في الداخل فيجيب السحرة إجابة تمثل قوة الإيمان أمام جور الطغيان: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِيكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٦﴾ إِنَّا ءَأَمَّا رَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ مقابل قول فرعون الأنف ذكره: "ولتعلمن أيانا أشد عذابا وأبقى. وإن الفعل "نؤترك" فعل من الإيثار الذي هو أعلى درجات الكرم؛ يعني أنهم في الحقيقة بحاجة إلى جاه فرعون وماله وسلطانه لكنهم آثروا ذلك كله الذي هم بحاجة ماسة إليه على ما جاءهم من البينات، ولم يقولوا "أما بآيات ربنا" كما في الأعراف بل "بينات" وكلاهما تعني معجزات لكن الثانية منهما أعلى درجة في الوصف فالبيئنة هي الحججة شديدة الوضوح كما أسلفنا. وقالوا "الذي فطرنا" وليس "الله" أو "ربنا" كما قالوا سابقا، ذلك أن فرعون في بداية حوار مع موسى في سورة طه قد سأله: "قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُوسَىٰ" فأجاب موسى إجابة تلفت النظر أولا إلى تدبير الله في كل ما يخلقه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٣٦﴾ وثانيا لفت نظره إلى هذا الكون الفسح الذي أبدعه الله بكل تفاصيله؛ إذ إن كل ما خلقه الله هو معجزة تستنطق الاعتراف بعظمة الخالق وتدييره حيث قال حينها: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ ثَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٣٧﴾ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنَّكُمْ كَانُمْ فِي دَلِيلٍ لَّا يَأْتِيهِ الضَّلَالَةُ ﴿٣٨﴾﴾ فإلام ذلك قول السحرة "الذي فطرنا" كونهم أدركوا أنهم جزء لا يتجزأ من هذا الخلق الخاضع لإرادة الله!

ويطوي السياق تفصيل ما جرى بعد قولهم هذا ليصل بنا مستعجلا إلى تدبير الله وعنايته الخارقة لكل مألوف بالمؤمنين وإنجائهم ونصرهم بعد أن أخلصوا الإيمان مستعجلين: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخْفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ وهذه هي الخطة الإلهية المرسومة فاتبعها بثقة ويقين فإن "الله معك يسمع ويرى" فلا تخف من فرعون وجنوده أن يلحقوكم فيدركوكم، ولا تخش في البحر غرقا هذه عناية الله بالمؤمنين، وهنا ينتهي الصراع وتصل الأحداث إلى الحل الذي مثل عملية "التطهير" أو "التنقيح الوجداني" لدى المتلقي وتفرغته

الله العامة للجميع بعد أن شهدناها خاصةً لموسى وهارون، واليقين بمعية الله من أعظم ما يطمئن ويقوي النفس في سيرها إلى الله.

ثم نلاحظ كلمة "رسول" بالإفراد وليس "رسولاً" بالتثنية كما في طه، ولعلّ تفسير ذلك يكمن في أنّ سورة الشعراء تعبّر عن ثبات الرّسل ووحدة مواقفهم (فقد قصّت السّورة عن موسى وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب) فثبتت الكلمات في افتتاحيّة وختام كلّ قصّة رسول تعبيراً عن الثّبات الذي يحتاجه النّبيّ محمّد - ﷺ - ومن معه أمام قومهم مهما عصفت بهم رياح الصّد والكفر. فأن تُفرد كلمة "رسول" في هذا الجوّ تعطي دلالةً على أنّ الرّسل كلّهم رسولٌ واحدٌ؛ رسالتهم واحدة وكلمتهم واحدة وصمودهم واحد<sup>(٤٤)</sup>!

وما يلبث السّياق إلّا ويضعنا داخل المحاورّة خلال المواجهة حاذقاً كما كان ما كان من تفاصيل في اللقاء الإلهي، يعرض المحاورّة مفصّلاً تطبيقاً لكلام "إنّا معكم مستمعون" ونقف في هذه المحاورّة على مشهد السّحرة، عندما تأتي المعجزتان اللتان أعدّ الله بهما موسى للقاء فرعون وهو أقرب ما يكون من ربّه، تُذكران هما عنيهما حرفياً كما ذكرتا في الأعراف بيّتان ثابتتان ثبوت الحقّ أمام ما سنشاهده الآن من اضطراب الباطل، ليتحدّى بهما موسى فرعون في مواجهة لن يكون الكاسب فيها أيّاً كان أمام فرعون إلّا بقوة إلهيّة قادرة تقطع الشكّ باليقين المبين المنظور، ولهذا ثبتت مفردتا "مبين" و"للناظرين"، وإن حذف حرف العطف بين كل رد ورد في الحوار يدل على عنف المواجهة وشدة التكذيب من رأى الثعبان "المبين" واليد بيضاء "للناظرين"!

وبعد أن خرج أهّام موسى بأنّه "ساحر عليهم" على لسان الملائ في سورة الأعراف، فإنّه ها هنا يخرج من فرعون نفسه فنجده هو الذي يلتفت إلى الملائ ويخبرهم بأنّ موسى "ساحر عليهم"؛ ولعلّ الملائ جميعهم قالوا "ساحر عليهم" في ذاك الموقف لكن هنا الحكمة؛ على ماذا يريد السّياق أن يسلط ضوءه بما يخدم الرّسالة الحاليّة التي تلامس الحال في الخارج؟! وهنا يسلط ضوءه على اضطراب فرعون نفسه وهو رأس الطّغيان، حيث يضيف في قوله مفردةً تدلّ على ما أصابه من قلق وذهول، وهي مفردة "بسحره" التي لم تُذكر على لسان السّحرة في الأعراف لإدراكهم العميق أنّ ما جاء به موسى أكبر بكثير من أن يكون سحرًا! ونراه هنا يستشير قومه وهو الذي يدعي أنّه "رب"، وفي ذكر الاستشارة هنا تبرز حالة الارتباك التي أصابته.

﴿قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ حَوْلَهُ، إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَحْنَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ ولأنّ الحال هائج تُستبدل مفردة "أرسل" بـ "ابعث"؛ يقال "يوم البعث" وليس "يوم الإرسال"؛ إذ إنّ كلمة بعث إضافة إلى اشتغالها على معنى الإرسال فإنّها تدفق بنوع من التّهيج والتّرجيح؛ وهذا حال يوم يبعث الله الموتى من قبورهم، ولم يقل "ساحر عليهم" كما في الأعراف "بل "سحار عليهم" بصيغة المبالغة التي تلائم

القصة تصبح أقرب إلى الإخبار<sup>(٤١)</sup> وقال "نادى" ولم يقل "نادينا" لتكون كلمة "رب" المضافة لكاف المخاطب مظهرًا لمعية الله وملازمته للنبي في مواجهته وهو الذي معه "يسمع ويرى". وها هو حرف "إذ" المعبر عن أحداث مضت سيجعل الحديث متداخلًا في لحظة السرد الحاليّة باستعمال مفردة "ربك" التي تخاطب النبي مُجَدِّد - ﷺ - وكأنّ كلّ ما سيقصّ الآن هو جزء لا يتجزأ من الحاضر<sup>(٤٢)</sup> وهذا يؤكّد أنّ كلّ تجربة نبيّ تعرض أحداثها إنّما هي مشدودة إلى محور واحد هو التجربة الكبرى للنبيّ محمّد ومن معه وكلّ فرد معاصر اختار أن يكون على دينه فهو محسوب عليه وبالتالي القرآن يخاطبه.

وتصدّر المفردات الغليظة المشهد؛ فأولًا تسبق صفة "فرعون وقومه" على ذكرهم، وهذا وصف يهين النبيّ للمواجهة، فهم "ظالمون" لأنفسهم بصيغة الفاعل الدّالة على ثبوت الصّفة فيهم رغم كلّ ما شهدته حواسّهم من معجزات، وهنا يستحضر الدّهن ما جاءهم من آيات في سورة الأعراف والوعود بالإيمان التي نكثوها بعد كشف العذاب مرّة تلو المرّة، ولأنّ القرآن يعلم أنّ العقل الباطن محتفظ بكلّ ما قصّه عليه من تفاصيل في مواضع سابقة فإنّه ها هنا يتعجب بناءً على ذلك "ألا يتقون؟" والتّقوى تأتي بعد الاختبارات والمواعظ الكثيرة.

وبعد أن ردّ موسى بالدعاء لربّه في سورة طه حين أمره بالدّهاب إلى فرعون فاستجاب الله سؤاله دعماً وتأييداً، فإنّ الرّدّ ها هنا ينكشف من زاوية أخرى يركّز السّياق عليها وهي اشتداد هواجسه من ملاقاته فرعون اشتداد المقبل على لحظة المواجهة، فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ وَيَضِيئُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ وَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ لم يقل هنا "هارون أخي" بل "هارون" ذلك أنّ مفردة أخي تضفي عطفًا ورحمة استدعاها المقام هناك، بينما سقطت هنا لأنّ المقام مقام مواجهة صعبة محتدّة. فيأتي الرّدّ الإلهي الرّادع لهواجسه جازمًا وحاسمًا: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيْنِيَا إِنَّ مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ فَأَيُّهَا فِرْعَوْنُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اذهب بآياتنا وليس كما في طه "ادذهب أنت وأخوك"، وبعد أن كان التّهيب ساكن مطمئنًا ماسحًا للخوف في سورة طه "لا تخافا إني معكما أسمع وأرى" يأتي هنا راعدًا رادعًا: كلاً لن يعقد لسانك يا موسى ولن تُقتل! "إنّا معكم مستمعون" بعظمة "إنّا" يشحن الله همتهما ويرفعها حدّ السّماء، "معكم" وليس "معكما" لأنّ في سورة طه المقام مقام قُرب فتضافرت المفردات هناك لإضفاء ذاك الجوّ، أمّا هنا في لحظة المواجهة فالله مستمعٌ للجميع لموسى وهارون وفرعون وملئته. وقال "مستمع" وليس "أسمع"؛ ذلك أنّ الاستماع أدقّ من السّمع، كونه يأتي عن قصد وسبق إصرار، وليس كما السّمع الذي يكون عفوًّا وعن غير قصد<sup>(٤٣)</sup> ومستمعون اسم فاعل تدلّ على دوام حضور الله في كلّ وقت وحين وهذه هي معية

وإبراز ما في الباطل من قلقله وزعزعة، ولم يُذكر الفعل "أوحينا" كما في الأعراف حين كان التركيز على يد القدرة، ولم يُذكر فعل الأمر "وألق" كما في طه حين كان التركيز على مشيئة الأمر وتدييره، بل يُذكر الفعل مباشرة من موسى بثبات: "فألقى موسى عصاه؛ ذلك أنّ التركيز هنا ليس على يد القدرة ولا مشيئة القدرة عينها بل التركيز على هذا القلب الذي أيقن تمام اليقين بيد القدرة وإرادتها فوق كل إرادة!

وإنّ من عجيب ما يصل إليه المتدبر أنّ هذه الصيغة كان من المستحيل لها أن تسبق الصيغة الواردة في الأعراف أو طه أو حتى القمر؛ إذ كيف يمكن للعقل أن يتصوّر الباطل ضعيفا وهو يراه رأي العين قويا وشديد البأس والبطش والجاه والسلطان؟! لكنّه اليقين بالله وقدرته وجبروته الذي رسّخه الله في القلوب على مدار الثلاث سنوات ولا يزال، هذا اليقين يجعل الإنسان الموقن يرى الباطل في باطنه هشًا ضعيفا هزيبًا مهما بدا في ظاهره محصنًا وصلبًا ومتينًا، والموقن بالله حقّ اليقين يهون عليه كلّ شيء سواه.

ويوجهه فرعون أمّاه: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْلَمُونَ ؕ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ وَلَا صَلْبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠٦﴾ هذا الأثم يكاد يكون ذاته بالكلمات نفسها في سورة طه، لكنّ جوّ الاضطراب في مقام سورة الشعراء يلقي بظلاله عليه ليكسيه معنى غير الذي كان في سورة طه رغم تماثل غالبية المفردات! ادّعاؤه في هذا المقام "إنّه لكبيركم الذي علّمكم السحر" يصدر عن توتر واختلال؛ فإنّ هؤلاء السحرة الذين أرسل إليهم فرعون ليأتوه من المدائن حاشرين لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟! وهذا لا يقوله عاقل<sup>(٤٥)</sup> ثمّ لو افترضنا أنّ من السحرة من يعرفهم موسى، كيف يكون كبيرهم الذي علّمهم السحر هو إن صحّ التعبير صغيرهم وهم علّموه حين تربّى عندهم في القصر<sup>(٤٦)</sup>. وفي هذا دلالة على كمّ الدّل وحجم الهزيمة التي مني بها فرعون أمام سجدود السحرة، وهذا المعنى يختلف عمّا كان في طه من شخصنة القضية، والدليل على هذا أنّ السحرة هنا قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ وليس كما في طه حين تعمدوا تقديم هارون على موسى فقالوا: "ربّ هارون وموسى". والآيات ثبوت مفردات الوعيد في الأعراف وطه والشعراء: "لأقطنن أيديكم وأرجلكم من خلاف" وكأنّ تعذيب الأجساد هو أقصى ما يمكن أن يبلغه مهما أمعن في وحشيته ومهما أرغى وأزبد، وهذه الوحشية التي لا يملك سبيلا سواها هي دليل عجزه التام عن مسّ ما وفر من إيمان في القلوب.

وهذه الحقيقة المكرورة تجعل ردّ السحرة يزيد في إظهار تحقيرهم وزهدهم واستصغارهم لما يعاينوه، فتتضاف في ردّهم كلمة بليغة تُشعر السامع بعمق يقينهم بالله وهوان كلّ شيء في سبيله وبالتالي طمأنينتهم

ما في المقام من هيجان. ويتعمّد المقام إظهار هيجان الطرف الآخر أمام دعوة النبي، ولذلك قبل أن يأتي السحرة الآن كما في مشهد الأعراف، تُساق جزئية من القصة حذفت تماما من الأعراف، هذه الجزئية هي حضّ وتشجيع الناس على حضور المباراة ليشهدوا فوز فرعون على من يدعي بنظرهم أنّه "رسول من ربّ العالمين". وهذا الحضّ على الحضور يكشف عن مشاعر القلق التي تعترى شخصًا سيواجه أمرًا ضخمًا مهولًا "فجمع السحرة لميقات يوم معلوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون" واليوم المعلوم أي اليوم الذي يعلمه الجميع وهو اليوم الذي حدده موسى موعدًا مع فرعون والسحرة ليلتقيا فيه ويعرض كلّ منهما ما لديه، وفقًا لما أخبرتنا إيّاه سورة طه من قبل حين قال فرعون مخاطبًا موسى: "موعدكم يوم الزينة وأنّ يُحشر الناس ضحى" أي يوم عيدهم في ضحوة النهار ليكون أظهر وأجلى. وقد كان ذكر الأماكن والأزمان في سورة طه مهمًا لأنّ المقام مقام تدبير خريطة الطريق ورسم معالمها، أمّا هنا فمفردة "معلوم" أي مشهور تتضافر مع "الناس" ومع "مجتمعون" لتضفي جوًا من الجهار والعلانية لأنّ المقام مقام مواجهة علنية!

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنِّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ حتى طلب السحرة هنا يظهر بصيغة تشكيكية بعد أن كان مؤكّدًا في الأعراف "إنّ لنا لأجرًا" وليس "أئنّ" متسائلين بتدّد غير واثقين تمام الثقة التي ظهرت سابقا في الأعراف! فيجيب فرعون بحزم لبيد أيّ ضعف قد يبدو عليهم، فهو شديد الحرص على فوزهم أمام ما يهدّد سلطانه وهذا يدلّ على مدى فزعه ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُفْرَقِينَ ﴿١١٠﴾﴾ فيضيف "إذًا" في إجابته إمعانًا في التأكيد، كما لو كان في حالة إنكار ممّا تسلّل إليه من ريبة وشكّ!

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّقْتَدُونَ ﴿١١١﴾﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعَزَّةٍ فَرَعُونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالَمُونَ ﴿١١٢﴾ فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٣﴾ فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٦﴾﴾ هنا بدأت المواجهة وبادر موسى صاحب القلب الموقن بمعية الله له والمطمئن بقربه منه، وذلك بعد أن كان السحرة سابقا في الأعراف هم المبادرين حين سألوا موسى: "يا موسى إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون نحن الملقين" قالوا "يا موسى" باسمه؛ ذلك أنّ معجزة العصا واليد أحدثت في قلب السحرة هيبه ورهبة من موسى، أمّا هنا "قال لهم" ولم يقل "قال للسحرة" تحقيرا لفعالهم ولما سيجيؤون به. وهنا في سورة الشعراء يُحذف سؤال السحرة وتحذف مبادرتهم ويأتي القول منطلقًا ثابتا من لسان موسى: "القول ما أنتم ملقون" وتعبير "ما أنتم ملقون" يشي بثقة ويقين ولا مبالاة أمام الحدث المهل! ويُحذف التفصيل في ضخامة ما جاء به السحرة كما فُصلّ في طه والأعراف؛ لا "استرهبوهم" ولا "سحر عظيم" ولا "يخيّل إليه من سحرهم أمّا تسعى" لأنّ المقام مقام ثبات الحقّ

وأحدثته قوة الحق لإظهار الدّل الذي سيلحق بالأعداء، وهذا الوصف يناسب عملية التلقّف ذات الوقع المفاجئ المثير للذهول الذي لم يملك معه السحرة إلا أن يحزّوا ساجدين. ﴿فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ويحذف الفعل المقدر بـ "ضرب" دلالة على سرعة تحقيق أمر الله المعجز في نجاة المؤمنين بعد استحكام الحال وتساهم الفناء بإظهار هذه الدلالة في الفعل "فانفلق" دون انتظار ولا مهلة. فأنجى الله موسى وقومه وقرب فرعون ومأله من البحر حتى أغرقهم ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ﴾ وهذا موقف وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ﴾ وهذا موقف سطره التاريخ وخلده الكتابان السماويان من قبل، التوراة والإنجيل، وما هذا كله إلا آية خارقة، أغرق الله بها فرعون ومن معه في بحر لحي مضطرب، ونجى موسى ومن معه إلى بر الأمان.

وبعد هذه التهيئة الداخليّة للمؤمنين في الخارج يأتي الأمر العظيم من ربّ حكيم في أواخر سورة الشعراء، الأمر بالمهمة الكبرى المتماثلة مع مهمة النبيّ موسى، إنه أمر الجهر بالدعوة، هذا الأمر الذي استغرق ثلاث سنوات من الإعداد النفساني في السرّ والخفاء، أمر النبيّ محمّد بالذهاب إلى صناديد عشيرته، فيأمره - سبحانه -: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾!

إنّ مشهد السحرة في قصة موسى قد تكرّر للمرّة الثالثة والأخيرة في سورة الشعراء، غير أنّ أحداث قصة موسى الطويلة مع قومه بني إسرائيل مستمرة على طول القرآن، لكن هذا المشهد من القصة سيختفي لأنّه يركّز على الأفراد القلائل وضعفهم أمام بطش الباطل وزرع بذور اليقين فيهم، كما يركّز على ما يمنحه الإيمان مبدئيّاً من جرأة وهو في أولى درجاته، هذه الجرأة التي لا يمنحها أيّ شيء سواه. وإنّ سورة الشعراء هي سورة فيصليّة في مراحل الدعوة، لأنّ فيها تنزل أمر الجهر بالدعوة، إذ لم يعد هناك مجال للتردّد والتراجع بعد ثلاثة أعوام سرّية من التجهيز والإعداد<sup>(٤٨)</sup>.

### الخاتمة

● إنّ المعنى وراء تعدّد الصّيغ قد يصل إليه الباحث من خلال جمع الصّيغ، والوقوف على تراكيبيها وأساليبها والمقارنة بينها. لكنّه لن يتمكن من الوصول إلى "معنى المعنى" إلا من خلال بحث الأساليب والتقنيّات في الصّيغة الواحدة في سياق السورة أولاً ثم ربطها بسياق النصّ القرآنيّ كلّه ثانياً، ثمّ الأخذ بالموازنة بين الصّيغ المختلفة على خطّ سياقيّ واحد باعتبار ترتيب نزول السور، منذ تنزل سورة العلق في غار حراء، سيراً إلى الأمام، مع ملاحظة فاعليّة كلّ صيغة على مستوى النصّ القرآنيّ كلّه من خلال لغتها، لتبيّن بالدليل أعظم مزايا القرآن وهي نسيجه الحيّ من خلال نسقه القصصيّ. وهنا تكمن الجدة في هذا البحث.

● بلغت قوة اللغة وتراكيبيها في الصّيغ القصصيّة حدّاً يُمكن متدبرها من

وسكبتهم: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾؛ الضير وليس الضّر، يقال: "ضاره وضره"<sup>(٤٧)</sup> الأولى بتخفيف الزاء والثانية بتشديدها؛ وقد ناسب المقام هنا تخفيفها لبيان هوانها عليهم رغم غلظتها التي يعبر عنها صوتها؛ فلا ضير إن قُطعت الأيدي والأرجل من خلاف، ولا ضير إن ضلّنا ما دمننا إلى ربنا منقلبون، ولا بأس في فظاعة ما سيكون من تعذيب وأذى وآلام وجراح، فإنّ ما نرجوه جزاء سبقنا في الإيمان أسمى وأعلى وأشرف وهو أن يغفر الله خطايانا، ومغفرة الخطايا باب الجنّة. وتعبير "أول المؤمنين" يوحي بأنّ هذه المواجهة هي الأولى بين الشرك والإيمان، وفي العالم الخارجي يقفون على عتبة هذه المواجهة، كما سنرى في آخر السورة!

ثمّ يوحي الله - سبحانه - إلى موسى أن يسري بالقوم ليلا ليرحلوا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُنْبَعُونَ﴾ وهنا يكون المؤمنون بأمر من الحاجة إلى بيان تواليّ الله لهم؛ فيأتي التولي بضمير "النا" وقدرته وفخامته في "أوحينا"، ولم يقل بني إسرائيل بل "عبادي" للتأكيد على رحمة الله بعباده أجمعين؛ الرّسل وكلّ من تبعهم. وقد حذف السياق كثيرا من الأحداث التي حكمتها لنا سورة الأعراف قبل أن يأمر الله موسى وقومه بالمغادرة وشقّ البحر لئلا يجيد المقام هنا عن "ثبات الحق وقوته".

ويكتشف فرعون خروج بني إسرائيل ليلا: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِعَائِلُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ ﴿٥١﴾ وإنّ وصف فرعون لموسى وقومه "شردمة قليلون" مقابل "عائلون" بصوتها الغليظ الذي يدل على غيظ صاحبها الشديد ومقابل "خادرون"، يوحي بالخطر الداهم الذي يشعر به فرعون وملؤه لما شهدته أعينهم من قدرة بينة محسوسة إن هم كانوا من "الناظرين". لكن هذا الاضطراب لن يدوم بل هو في تلاشي وإلى زوال وقيل أن يكمل السياق يعترض ببيان عاقبتهم مسرعا: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعُيُونِ﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٢﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٣﴾. ثمّ يعود ليكمل بإيقاع حماسي متلاحق: ﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ: إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٥٤﴾. فهذا هو البحر من أمامهم والعدو من ورائهم فماذا عساهم يأملون؟ وتصل المواجهة أوجها ويبلغ الضيق مداه، لكنّ موسى الموقن بنصر الله، وهو الذي عبقت حياته برحمته وعنايته وتديبره، يُبطل مخاوفهم ويردع قنوطهم ويزجر شكهم بكلمة كلّها يقين وثقة وتوكل: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾!

فلما استحكمت حلقاتها فوجت بقوة الله وتديبره: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ ولا بدّ من وصف مهول لما

بالتجاذب والتراكم والتّمؤنم التّمكّن من موقعها في العقل، عمل القرآن على مدار عقد من الزمن وأكثر على إدخالها من الشعور إلى اللاشعور، وذلك من خلال استعمال الأساليب والتقنيات المختلفة بمراعاة الحال في كل صيغة؛ كالأستبدال بتقنية الحذف والإثبات. وإعادة الترتيب بتقنية التقديم والتأخير، التدرج والتّصعيد في مبنى التراكيب. الحذف والإيجاز، والإسهاب والإطناب والتّكثير والتّعريف والوصل والفصل. فنشأ عن هذه التقنيات تغييرات لغوية داخلية أدت إلى فروقات دقيقة وجوهريّة في المعنى بين كل صيغة وأخرى على امتداد القرآن، مكوّنة بتتابعها واجتماعها في الدّهن مبادئ جديدة لم يكن ليتوقّع شخص بموج في ظلمات الجاهليّة أن يعتنقها يوماً. مثل مبدأ "التقوى" ومبدأ "الشكر والامتنان" ومبدأ "التوكل" ومبدأ "الثبات على الحق".

● في كل مرة استدعى فيها السياق صيغةً جديدةً للقصة الواحدة كان يضع المتلقّي قبالة تجربة واقعية مصوّرة تخاطب ذاكرته من خلال بنية المضارع التي فعلت الأحداث وجعلتها تبدو مستمرة ومتجدّدة غير مقيدة بزمن، حتّى ألّفت هذه التجارب عالماً واسعاً معروضاً أمام المخاطب يكشف الواقع بجميع ملامحه، عالماً تحيّلًا يتقاطع مع عالم المخاطب ويحوّله. ولما كان الخطاب القرآني خطاباً عالمياً وكان المتلقّي هو الرسول الأخير للعالم أجمع، وأنّ كل مؤمن شاء أن يؤمن منذ عهده وحتّى يومنا هذا ما هو إلا امتداد لقوم هذا النبيّ، فإن حرارة المعركة بين "التوحيد" و"الشرك" التي اشتعلت بين النبيّ وقومه وتفصيلها الموثقة هي ذمّا في قلب كل مؤمن معاصر يفتح قلبه وعقله لرسالة القرآن. هذا يعني أنّ كل ما جاء في القرآن من قصص من عالم التجربة للرسل السابقين إنّما جاء خدمةً لهذه "التجربة الكبرى" المستمرة، وبرعت لغة القرآن في غزل هذه التجربة الكبرى بخيوط تلك القصص حيث تشابكت لحظاتها الحاضرة مع تلك الحالات الماضية.

● السياق هو الذي يفسر معاني الأدوات وأحرف المعاني التي توضع كلّها تحت رقابته. وهو الذي يلوي بصرامته الأعناق إلى أي زاوية تلتفت في ظل تشابه الأحداث أو حتّى تماثلها. فوجود التقنيات الخاصّة بين الجمل قد يربط بينها لكنّه لن يكون كافياً لجعل النّص نصّاً مؤتلفاً واحداً، إذا لم تخضع لرقابة صارمة من السّيّاق، وبعدها يمكن الحديث عن تحقيق هذه الأساليب للنّظم المعجز.

● إنّ مقامات السّور تتكامل لتشكّل في مجموعها المقام الواحد للقرآن الكريم؛ بمعنى لا يمكن اجتراء "سورة الشعراء" مثلاً والأخذ بتحليل الصّيغة الواردة فيها بناءً على مقامها الذي هو "المواجهة الصّريحة وثبات الحق" بدون أن نربطه بالمقام السابق لها من سورة طه الذي هو "مقام العناية والتّديب الإلهي"، وربط هذا الأخير بالمقام السابق له من سورة الأعراف الذي هو "مقام الشكر مقابل الكفر" وربطه بمقام سورة

التّعريف على "المراحل الزمّنية" للدعوة في مكة خطوةً بخطوة في سرّيّتها وجهرّيّتها. حيث كانت اللّغة في القصص بألفاظها وتراكيبها تتصاعد بتصاعد الأحداث وتتطوّر بتطور مواقف المخاطبين، وتكشف بوضوح دقة الاتّساق بين سياق القرآن الدّاخلّي وسياقه الخارجيّ.

● كل صيغة قصصية في القرآن عبارة عن علامة لغوية يستدعيها السياق، كل علامة منها تحمل في سياقها الخاصّ معناها الإيحائيّ الذي لا تؤدّيه صيغة غيرها، تقيم علاقة بالعلامة التي بعدها والتي تحمل هي الأخرى معناها الجديد في سياقها الجديد، حتّى تتكوّن شبكة من العلاقات بين الصيغ، تتشابك فيما بينها اشتباكاً دلاليّاً، تنتظمها وحدة نسقيّة، وعن هذا ينتج التّناسخ داخل حدود النّصّ القرآنيّ. ولهذا ركّز القرآن حديثه على مجموعة محدّدة من الرّسل وأقوامهم، هم الأكثر صلةً بالمتّبع الخارجيّ للنّصّ، وجعل من قصصهم المحور الذي تنبّث إليه قضايا القرآن الكبرى.

● تميّزت القصة في القرآن بميزة "التأفذيّة الانتقائيّة"؛ التي فيها يحدّد السّيّاق نوع التّركيب وكميّة الكلام الذي عليه التّفاد إلى السّورة أو الخروج منها، بتقنيّة "الحذف والتّكرار"، بمقدار يتيح فهم دلالة الأحداث الجديدة في النّصّ، تبيّن للمتلقّي أفقا جديداً يبرز في ضوءه عن المعنى المألوف، فتتشكّل لديه معان جديدة مستندة على أرضيّة واقعيّة لكن بنظرات مغايرة.

● نتج عن ميزة "التأفذيّة الانتقائيّة" تعدّد في صيغ القصة الواحدة، مرّرت في كل صيغة منها معلومات تحفيزيّة للمتلقّي بشكل غير مباشر، معلومات مقترنة بما يواجهه المتلقّي من عقبات وما يقابلها من حلول، وكذلك ما سيواجهه من صراع وما سيلقاه من إمدادات تعمل على تحريك وتفعيل رغبته نحو تنفيذ خطة المتكلم وما يرمي إليه.

● أفضت الصّيغ بعضها إلى بعض فكانت الفجوات تملأ في ذهن القارئ كما لو كانت مكتوبة وهي غير مكتوبة، فكانت كل صيغة تحمل دلالتها المصبوغة بجو سياقها ومعانيه، تنضاف هذه الدّلالة إلى دلالة ما سبقها من صيغ. الأمر الذي جعل قراءة النّصّ قراءةً منتجةً بامتياز، فمنح المتلقّي في العالم الخارجيّ مجالاً للمشاركة وقدرة على التّواصل الفعّال مع النّصّ ما يضمن نجاح العمليّة التّخاطبيّة، ويمكن القول إنّ هذا التعدّد شكّل قوّة تدعيم لنظام النّصّ الدّاخلّي مكنته من التّفاعل والتّحرك في النّظام الخارجيّ.

● اعتمد القرآن نظام "البرجحة اللّغوية العصبية" في إيراد لصيغ القصص المختلفة على امتداد القرآن؛ حيث بدأ بطرق ذاكرة المتلقّي بإشارات تنبيهية تجعل من يسمعه من المخاطبين في مكة يصحو ليتوقّف قليلاً ويعود في الذاكرة سريعاً، لكنّه ما يلبث أن يستكين إلى ما كان عليه، فهي مجرد إشارة. غير أنّها في الحقيقة إشارة عقب إشارة، تأخذ

٢. نقرة، التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن (رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر: ١٩٧١) ١٢.
٣. نقرة، التهامي. سيكولوجية القصة في القرآن، مرجع سابق، ٢٦٢.
٤. الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ج ١-٢، ومحمد فؤاد عبد الباقي ج ٣، وإبراهيم عطوة عوض ج ٤-٥، الطبعة الثانية (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥) ٤٠٢:٥.
٥. Berns GS, Blaine K, Prietula MJ, Pye BE. "Short- and long-term effects of a novel on connectivity in the brain". BRAIN C. 2013;3(6):590-600
٦. رضا، محمد رشيد. تفسير المنار (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠) ١٢:٢٠٨.
٧. الناصري، محمد. التيسير في أحاديث التفسير (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥) ٤٧٩:٤.
٨. ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. الطبعة الثالثة (بيروت: دار صادر، ١٤٤٤هـ) ٧٤:٧.
٩. الطيبي، شرف الدين. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب؛ حاشية الطيبي على الكشاف. تحقيق: إياض محمد العوج، الطبعة الأولى (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ٢٠١٣) ٦٥٩:١.
١٠. انظر: دزاز، محمد. التبا العظيم؛ نظرات جديدة في القرآن الكريم. اعتنى به وقدم له: أحمد مصطفى فضيلة وعبد العظيم المطعني. الطبعة مزيدة ومحققة (م.د): دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥) ١٤٣.
١١. عوني، حامد. المنهاج الواضح للبلغة (مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، د.ت) ٣:٦٩.
١٢. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل. الطبعة الأولى (مصر: دار أحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م) ٣:١١.
- السيوطي، جلال الدين. الإقتان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى (دمشق: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨) ٣:٧٨٠. قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن (د.ت، د.د، د.ت). ١٢٥. قطب، محمد.
- دراسات قرآنية (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٠) ٢٦١. الميداني، عبد الرحمن. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل (بيروت: دار القلم، ١٩٨٠) ٤٩-٣٨. ابن قتيبة، عبد الله. تأويل مشكل القرآن (القاهرة: دار التراث، ١٣٩٣) ٢٣٢. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧) ٣:٣٨٥.
١٣. الجاحظ، عمرو بن بحر. الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون. الطبعة الثانية (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٥) ٣:١٧٥.
١٤. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر. الطبعة الثالثة (القاهرة: مطبعة المدني، ودار المدني بمكة، ١٩٩٢) ٤١٠.
١٥. حستان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها (المغرب: دار الثقافة، ١٩٩٤) ٣٣٧.
١٦. فندريس، جوزيف. كتاب اللغة. تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠) ٢٤١.

القمر الذي هو "مقام الخوف الآمن"؛ ذلك أنّ المقام الواحد يلقي ظلاله على المقامات التي تليه وبدون اعتباره يكون المعنى مبتورا في ظلّ الحديث عن نسيج حيّ يتحرك بين الناس في تلك الفترة. وإنّ المعنى الواحد في الصيغة الواحدة هو في الحقيقة معانٍ إجماعية كثيرة تتجاوز الدلالة الواحدة إلى عدّة دلالات متكاملة فيما بينها. بهذا البحث الاستقرائي يمكن أن نفهم كيف غيّر القرآن في النفوس والقلوب، وكيف تمكّن شخص واحد معه أفراد قلائل من تمهيد الطريق لأمةٍ بأكملها.

**توصي الباحثة** بدراسة أسلوب التناص في القصص القرآني داخل حدود القرآن، وإعادة النظر في ميزاته على ضوء تشابك الصيغ المختلفة للقصّة الواحدة.

**إتاحة البيانات:** البيانات الداعمة لنتائج هذه الدراسة يمكن الحصول عليها من المؤلف المرسل.

**الدعم المالي:** هذه الدراسة قائمة على التمويل الذاتي ولا تحظى بدعم مالي من أي جهة خارجية

## الإفصاح والتصريحات:

- **تضارب المصالح:** ليس لدى المؤلف أي مصالح مالية أو غير مالية ذات صلة للكشف عنها. المؤلفون يعلنون عن عدم وجود أي تضارب في المصالح.
- **الوصول المفتوح:** هذه المقالة مرخصة بموجب ترخيص إسناد الإبداع التشاركي غير تجاري 4.0 الدولي (CC BY- NC 4.0)، الذي يسمح بالاستخدام والمشاركة والتعديل والتوزيع وإعادة الإنتاج بأي وسيلة أو تنسيق، طالما أنك تمنح الاعتماد المناسب للمؤلف (المؤلفين) الأصليين. والمصدر، قم بتوفير رابط ترخيص المشاع الإبداعي، ووضح ما إذا تم إجراء تغييرات. يتم تضمين الصور أو المواد الأخرى التابعة لجهات خارجية في هذه المقالة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقالة، إلا إذا تمت الإشارة إلى خلاف ذلك في جزء المواد. إذا لم يتم تضمين المادة في ترخيص المشاع الإبداعي الخاص بالمقال وكان الاستخدام المقصود غير مسموح به بموجب اللوائح القانونية أو يتجاوز الاستخدام المسموح به، فسوف تحتاج إلى الحصول على إذن مباشر من صاحب حقوق الطبع والنشر. لعرض نسخة من هذا الترخيص، قم بزيارة:

<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0>

## المراجع:

١. الحرائي، تقي الدين. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الطبعة السابعة (بيروت: دار الكتب، ١٩٩٩) ٥٧٠.

٣٣. Emmons, Robert A. Thanks, how the New Science gratitude can make you happier (New York: Houghton Mifflin company, 2007) 90. Michael E. McCullough. Series in affective science: The Psychology of Gratitude. (New York: Oxford University press, 2004) 100-120
٣٤. التّسائي، أبو عبد الرحمن. السنن الكبرى. حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شليبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى (بيروت: مؤسسة الرّسالة ٢٠٠١) ١٠: ١٧٢.
٣٥. الأنصاري، فريد. جمالية الدين. معارج القلب إلى حياة الروح. (مصر: دار السلام، ٢٠٠٩) ٤٠.
٣٦. ابن قيم الجوزية، محمد. الوابل الصيب من الكلم الطيب. تحقيق: سيّد إبراهيم، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٩م) ٧٧.
٣٧. المحمّد، هاشم حسين. "المضامين النفسية في سورة طه"، مجلة المصباح ١٨ (٢٠١٤) ٣٣٠.
٣٨. سيّد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٢٣٤٢.
٣٩. الغنطاطي، أحمد بن إبراهيم. ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل، في توجيه المشابه للفظ من أي التنزيل. وضع حواشيه: عبد الغني مجّد علي الفاسي (بيروت لبنان: دار الكتب العلميّة، د.ت.) ١: ٢٢٠.
٤٠. Berndtson, Arthur. Art, Expression, and Beauty, (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1969) 230-235
٤١. الطباطبائي، مجّد حسين. الميزان في تفسير القرآن. (لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧) ١٥: ٢٥٨.
٤٢. التميمي، سعد مجّد علي. "الحذف في سورة الشعراء؛ دراسة تحليلية"، مجلة إكليل العدد: ٤ (٢٠٢٠) ٢٣.
٤٣. حسين، تومان. تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء. مجلة مركز دراسات الكوفة العدد: ٢٣ (٢٠٠١) ٥٣.
٤٤. ابن عاشور، التحرير، مرجع سابق، ١٩: ١٠٩.
٤٥. ابن عاشور، التحرير، مرجع سابق، ١٩: ١٠٩. الزّحشريّ، الكشف، مرجع سابق، ٣: ٣٠٤. الرازي، مجّد بن عمرو. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير. الطبعة الثالثة (بيروت: دار إحياء التّراث العربي، ١٤٢٠) ٤٩٥: ٢٤.
٤٦. ابن كثير، عماد الدّين. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: مجّد حسين شمس الدّين. الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٩٨م) ١٢٨: ٦.
٤٧. سيّد قطب، الظّلال، مرجع سابق، ٢٥٩٦.
٤٨. ابن عاشور، التحرير، مرجع سابق، ١٩: ١٢٨.
١٧. Lyons, John. language and linguistics, An introduction. (combridge university press, 1985) 63
١٨. Eco, Umberto. les limites de l'interprétation, trad: fasquelle, 1992) 33 Myriem Bouzaher (édition grasset et
١٩. فندريس، اللغة، مرجع سابق، 231.
٢٠. Lyons, John. language and linguistics, p.9.
٢١. الطائي، نعمة. "امتدادات السياق الاجتماعي على مساحات المعاني مقارنة في ضوء اللسانيات الاجتماعية" مجلة الأستاذ؛ العدد الخاصّ بالمؤتمر العلميّ السادس لسنة ٢٠١٨، ١٢٧. بوقرة، نعمان. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة (د.م.: عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩) ١٢٠. حمودة، عبد العزيز. المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك (الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨٩) ٢٢٣.
٢٢. السعران، محمود. علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربيّ. الطبعة الثانية (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧) ٢٥٣. مختار، أحمد. علم الدلالة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨) ٣١٣.
- Sami A. Hanna, Karīm Zakī Husām al-Dīn, Naguib ( Dictionary Of Modern Linguistics Term.Greis p:28. )Librarie du Liban 1997
٢٣. الطبري، مجّد بن جرير. تفسير الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: مجّد محمود شاكر (مكة المكرمة: دار التّربية والتّراث، د.ت.) ٦: ٥١٦. الألوسي، شهاب الدّين. تفسير الألوسي؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني. الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٤١٥هـ) ١: ٢٢٢. إسماعيل الحسيني، نظرية المقاصد عند الإمام مجّد الطاهر بن عاشور (هيروندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥) ٣٤٨. الشاطبي، إبراهيم. الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (د.م.: دار ابن عفان، ١٩٩٧) ٤: ١٤٦.
٢٤. Hirsch, E. D. Cultural Literacy: What every American should know. ,Boston, 1987. 33-34
٢٥. الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة. تحقيق: محمود مجّد شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني، د.ت.) ١٤١.
٢٦. ابن عاشور. التّحريم والتّنوير؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. (تونس: الدّار التّونسيّة للنشر، ١٩٨٤) ٢٧: ٢٠٩.
٢٧. البخاري، مجّد بن إسماعيل. تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية (مصر: المطبعة الكبرى الأميريّة، ١٣١١) ٢٠٦: ٤.
٢٨. إبراهيم، حسن علي. مصادر الخوف والواقع إحساسا وشعورا (د.م.) دار الينابيع، ٢٠٠٠) ١٠١، ٦٤.
- LeDoux, J. E. The Emotional Brain: The Mysterious Underpinnings Of Emotional
٢٩. ابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق) ١٥: ١٠٢.
٣٠. ابن أبي الأصبغ، عبد العظيم. تحرير التّحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تقديم وتحقيق: حفي مجّد شرف (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشعون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، د.ت.) ١٧٩.
٣١. الغدامي، عبد الله. المشاكل والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف. (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤)، ١٠٢.
٣٢. ابن عاشور، التحرير والتّنوير، مرجع سابق، ٨: ٣٣.

## References

1. āl-Hrāny, tqy ālDyn. āqtā' ālšrāt ālmstqym Imhālf 'shāb ālghym. thqyq: nāsr 'bd ālkrym āl'ql (Byrwt: dār ālktb, 1999) 570.
2. Nqra, āl-Thāmy. sykwlwğyt ālqsa fy ālqrān (rsālt dktwrā, gām't ālğzā'r: 1971) 12.

17. Lyons, John. *language and linguistics (an introduction)*, combridge university press, 1985,p:63
18. Eco, Umberto. *les limites de l'interprétation*, trad: Myriem Bouzaher, édition grasset et fasquelle, 1992, p:33.
19. Fndrys, allga, 231 (mrğ' sābq)
20. John Lyons, language and linguistics, p.9. (mrğ' sābq)
21. 127 āl-Tā'y, N'ma. "āmtdādāt ālsyāq ālāğtmā'y 'la msāḥāt ālm'āny mqārba fy ḏw' āllsānyāt ālāğtmā'ya" mğlt āl'stād; āl'dd ālhāṣ' bālm-'tmr āl'Imy' ālsāds lsnt 2018, 127, N'mān Bwqra, āllsānyāt āğāhāthā wqḏāyāhā ālrāhna (d.m.: 'ālm ālktb ālhdyt, 2009) 120
22. āl-S'rān, mqdma llqār' āl'rby (āl-Qāhra: dār ālfr āl'rby, 1997) 253, Āḥmd Mḥtār, 'lm āldlāla (āl-Qāhra: 'ālm ālktb, 1998) 313, amī A. Hanna, Karīm Zakī Ḥusām al-Dīn, Naguib Greis. *Dictionary Of Modern Linguistics Terms*. Librarie du Liban, 1997, p:28.
23. tfsyr āl-Tbyry; ḡām' ālbyān 'n t'wyl āy ālqrān. ḥqyq: Mḥmd Mḥmwd Šākr (Mka ālkmrma: dār āltrby wāltrāt, d.t.) 2:480', āl-'lwsy 'tfsyr āl-'lwsy; rwḥ ālm'āny fy tfsyr ālqrān āl'zym wāls'ōb' ālmtāny (Byrwt: dār ālktb āl'Imya, 1415h) 1:222.
24. Hirsch, E. D. *Cultural Literacy: What every American should know*. Boston, 1987,p: 33-34.
25. 'bd āl-Qāhr āl-Ḡrḡāny, 'srār ālblāga, ḥqyq: Mḥmwd Mḥmd Šākr (āl-Qāhra: mṭb't ālmdny, Ḡda: dār ālmdny, d.t.)141.
26. ābn 'āšwr. ālt'ḥryr wālt'ōnwyr' ḥryr ālm'nā ālsdyd wtnwyr āl'ql ālgdyd mn tfsyr ālktāb ālmḡyd. (twns: āld'ār ālt'ōwnsy'ōt lln'ōsr' ٩٨٤ ) 27:209.
27. *ālbḥāry mḥmd bn 'smā'yl. ḥqyq: ḡmā'ī mn āl'lmā' ' ālḥb'ī ālslāny' (mṣr: ālmtb'ī ālkr' āl'myri' ١٣١١ ) 206:4.*
28. Ḥsn 'ly, mṣādr ālhwf wālwaq' 'ḥsāsā wš'wrā (d.m., dār ālynāby', 2000) 64, 101, LeDoux, J. E. *The emotional brain: The mysterious underpinnings of emotional life (USA: Simon & Schuster,1996)179-200*, Eddie Harmon-Jones and Piotr Winkielman, *Social Neuroscience: Inte-*
3. Nqra, āl-Thāmy. sykwlwḡyt ālqša fy ālqrān (rsālt dktwrā, ḡām't ālḡzā'r: 1971) 262.
4. ālrmḏy 'mḥmd bn 'ys'. snn ālt'ōrmḏy'ō. ḥqyq wt'lyq: 'ḥmd mḥmd šākr ḡ1-2 'wmḥmd f'jād 'bd ālbāqy ḡ3 ' w|brāḥym 'tw' 'wd ḡ4-5 'ālt'ōb't ālt'ōānyt (mṣr: šrkī mktb'ī wmtb'ī mṣt'f' ālbāby ālḥlby' ٩٧٥ ) 402:5.
5. Berns GS, Blaine K, Prietula MJ, Pye BE. "Short- and long-term effects of a novel on connectivity in the brain". *Brain Connectivity*. 2013;3(6):590-600.
6. Mḥmd Ršyd Rdā, tfsyr ālmmār (Mṣr: ālḥy'a ālmsrya āl'āma llktāb, 1990) 12:208.
7. Mḥmd āl-Mky āl-Nāšry, āltsyr fy 'ḥādyt' āltsyr (Byrwt: dār ālgrb āl'slāmy, 1985) 4:479.
8. Ibn Mnzwr, lsān āl'rb, 74:7 (mrğ' sābq)
9. Šrf āl-Dyn āl-Tyby, ftwḥ ālḡyb fy ālkšf 'n qnā' ālryb; ḥāšyt ālTyby 'la ālkšāf, ḥqyq: Iyād Mḥmd āl-Ḡwḡ (dby: ḡā'zt Dby āldwlyā llqrān ālkrym, 2013) 1:659.
10. Mḥmd Drāz, ālnb' āl'zym, nzrāt ḡdyda fy ālqrān ālkrym, i'tna bh wqdm lh: Āḥmd Mṣtfa Fdyāla w'bd āl-'zym āl-Mt'ny (d.m.: dār ālqlm llnšr wāltwzy', 2005) 143.
11. Ḥāmd 'wny, ālmmhāḡ ālwādḥ llblāga (Mṣr: ālmtkba āl'zhryā lltrāt, d.t) 3:69.
12. Bdr āl-Dyn Mḥmd bn 'bd Āllh āl-Zrkšy, ālbrhān fy 'lwm ālqrān, ḥqyq: Mḥmd 'bw āl-Fḏl (d.m.: dār 'ḥyā' ālktb āl'rby, 1958m), 3:11, āl-Sywyty, āl'tqān fy 'lwm ālqrān, ḥqyq: Mṣtfa Šyḥ Mṣtfa (Dmšq: m'sst ālrsāla, 2008) 3:780. Ibn Qtyba, 'bd Āllh. t'wyl mškl ālqrān (āl-Qāhra: dār āltrāt. 1393) 232, āl-Zmhšry, ālkšāf 'n ḥqā'q ḡwāmd āltnzyl w'ywn āl'qāwyl fy wḡwh ālt'wyl (Byrwt: dār ālktāb āl'rby, 1407) 3:385.
13. āl-Ḡāḥz, ālḥywān, ḥqyq: 'bd āl-Slām Ḥārwn (Mṣr: mṭb't Mṣtfa āl-Bāby āl-Ḥlby w'wlādḥ, 1965) 3:175.
14. āl-Ḡrḡāny, dlā'l āl'ḡāz, ḥqyq: Mḥmwd Mḥmd Šākr Abw Fhr (āl-Qāhra: mṭb't ālmdny, wdār ālmdny b-Ḡda, 1992) 410.
15. Tmām Ḥsān, allga āl'rby'ōa m'nāhā wa-mbnāhā (āl-Mḡrb: dār ālt'ōqāf, 1994) 337
16. Ḡwzyf Fndrys, allga, t'ryb: 'bd āl-Ḥmyd āl-Dwāḥly wa-Mḥmd āl-Qšāš (Mṣr: mktba āl'nḡlw ālmsrya, 1950) 241.

40. Berndtson, Arthur, Art, Expression, and Beauty, (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1969) 230-235.
41. Alṭbāṭbā', mḥmd ḥsyn. ālmyzān fy tfsyr ālqr'n. (Ibnān: māssī ālā' lmy llmṭbw'āt' ١٩٩٧) 15:258.
42. S'd Mḥmd 'ly āl-Tmyy, "ālḥdf fy swrt āls' rā'; drāsa ṭḥlyly", mḡlt 'klyl āl'dd: 4 (2020) 23.
43. Twmān Ġāzy Ḥsyn, tqnyāt ālzmn fy qss swrt āls' rā', mḡlt mrkz drāsāt ālkwfh āl'dd: 23 (2001) 53.
44. Ibn 'āšwr, ālṭḥryr, 19:109.
45. Ibn 'āšwr, ālṭḥryr, 19:128. al-Zmḥšaryō, ālkšāf, 3:304. al-Rāzy 'mfātīḥu ālgaybi 'attafīsīr 'alkabīr (Byrwt: dār 'ihyā' 'atturāt 'al'rby' ٤٢٠) 24:495.
46. Ibn kaṭīr, tfsīr ālqr'ān 'al'zīm, taḥqīq: Mḥmd Ḥsyn Šms 'aldīn. (Byrwt: dār 'alkutub 'al'ilmīyya, 1998) 6:128.
47. Sayd Qṭb, ālzilāl, 2596 (mrḡ' sābq)
48. Ibn 'āšwr, ālṭḥryr, 19:128 (mrḡ' sābq)
29. Ibn 'by āl-'šb', ṭḥryr ālṭḥbyr fy šnā't āls' r wālntṛ, tqdym wṭḥyq: Ḥfny Mḥmd Šrf (āl-Ġmḥwrya āl'rbya āl-Mṭḥda: ālmḡls āl'la llš'wn āl'slāmya, lḡnt 'hyā' ālṭrāt āl'slāmya, d.t.) 179.
30. ābn aby ālašb' 'bd āl'zym. ṭḥryr ālṭḥbyr fy šnā't āls' r wālntṛ wbyān 'ḡāz ālqr'n. tqdym wṭḥyq: ḥfny mḥmd šrf (ālḡmḥwryā āl'rbyē ālmṭḥdt: ālmḡls āl'l' llš'wn āl'slāmyē 'lḡnt' hyā' ālṭrāt āl'slāmyā d.t.) 179.
31. 'bd āllh āl-Ġdāmy, ālmšākla wālāḥṭlāf, qrā'a fy ālnzrya ālnqdyā āl'rbya wḥṭ fy ālsbyh ālmḥṭf, (Byrwt: ālmrkz ālṭqāfy āl'rby, 1994), 102.
32. Ibn 'āšwr, ālṭḥryr wālṭōnwyr, 8:33
33. Robert A. Emmons. Thanks, how the New Science gratitude can make you happier, Boston. (New York: Houghton Mifflin company, 2007). P:90, Robert A. Emmons, Michael E. McCullough. Series in affective science: The Psychology of Gratitude. (New York: Oxford University press, 2004)p: 100-120.
34. Fryd āl-nšāry, ḡmālyt āldyn, m'ārḡ ālqlb 'la ḥyāt ālrwḥ (Mṣr: dār ālsōlām ٢٠٠٩) 40.
35. Ibn Qym ālḡwzya, ālwābl ālmsyb, ṭḥyq: Syd Ibrāhym (alQāhra: dār ālḥdyt, 1999m) 77.
36. ālnōsā'yī 'ōbw 'bd ālrḥmn. ālsōnn ālkr'. ḥqqh wḥrḡ ḥḥādyṭh: ḥsn 'bd ālmn'm šlby'bmsā'ds mktb ṭḥyq ālṭrāt fy m'šss' ālrsālī' šrf 'lyh: š'yb āl'rñāṣwṭ 'qdm lh: 'bd āllh bn 'bd ālmḥsn ālṭrky 'āṭṭ'ī āl'wl' (byrwt: mwsōsī ālrōsāl 2001) 172:10.
37. Hāšm Ḥsyn Nāšr Ālmḥnk, "ālmḍāmyān ālnfsya fy swrt ṭḥ", mḡlt ālmsbāḥ 18 (2014) 330.
38. Sayd Qṭb, ālzilāl, ٢٢٤٢.
39. Ālḡrnāty, Ahmad. mlāk āl'twyl ālqāt' bḍwy āl'ḥḥā wāl't'yl, fy twḡyh ālmtšābh āllfz mn Āy āltnzyl, wd' ḥwāšyh: 'bd āl- Ġny Mḥmd 'ly Ālfāsy (Byrwt Lbnān: dār ālktb āl'lmya, d.t.) 1:220.